المقتبس

الجزء الثامن من المجلد الثاني

شعبان سنة ١٣٢٥ الموافق سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

تولستوى

ما خلت كل امة وكل عصر عن وجود مصلح او مجدد يقوم بين قومه بالوعظ والارشاد ويا خذ بيدها في مهيع السداد . تساوت في ذلك الامم المنحطة والناهضة قديمها وحديثها شرقيها وغربيها . وتولستوي هو رجل روسيا اليوم ومجدد حياتها الاجتماعية سعى الى الاصلاح فاثرت حكمته في عقول مئات ممن استعدت نفوسهم لقبول الخير فما عتموا ان بثوا افكاره في مئات واشربت القلوب محبته واكبرت الامم دعوته . ولا يزال على ما اصاب بلاده من رفع وخفض يمتع النظر بما يجري في القرب والبعد فهو اليوم في التاسعة والسبعين من عمره قتل الدهر علماً ونحر الايام فهماً فكانت جملة ما استفاده من علم وتجارب وماورثه من آبائه من مال وضياع وقفاً على افادة امته وما ينهضها من عثرتها .

من العادة ان يترجم كبار العلماء انفسهم في كل امة . وقد طلب من الحكيم الرومي احد اصدقائه منذ مدة ان يوافيه بترجمة حياته او يدله على طريقة يتسنى له بها ان يجمع موادها فكتب اليه شيئاً من احواله صبياً ويافعاً وذكر له بيته ومنشأه وهما اساس في تربية ملكات الرجال . قال ما نعربه عن احدى المجلات الافرنجية : فكرت في اجابة طلبتك فرأيتني في تيهاء من الحيرة يتنازعني عاملان عامل شر وعامل اشر منه . واعني بالاول اعجاب المرء بنفسه والاغضاء عما اتاه من المفاسد في حياته واريد بالثاني الانطلاق في الحرية

المفرطة السفيهة وايراد مظالم الحياة باسرها . ان اخلصت في رصف ذاتي وغفلتي ومفاسدي وانطلقت في فكري وتجوزت في ابدائه على نحو ما انطلق الفيلسوف روسو في هذا المعنى يأتي من ذلك كتاب او مقال يخلب الالباب . ويقول الناس اليكم هذا الرجل الذي يعلي كثيرون مقامه هاهو انظروا اليه اي نذل كان . فهل تلام نحن ضعاف الفطرة من البشر اذا كنا انذالاً مثله واني لا انكر عند ما بدأت اذكر حياتي وقد تمثلت امامي غفلتي ولؤمي وذهبت بي الهواجس كل مذهب ورحت اقول في نفسي انا ذاك الرجل الذي يطريني كثيرون على مابي من شقاء وبلاهة . ولك ان تفسر قولي هذا بانني اكثر احتيالاً من غيري — اقول لك هذا القول بحرية ولا اقوله لأجمل به انشائي . من اجل هذا عمدت الى تسطير ترجمتي لاني رأيت من اللازم اللازب ان اظهر للملإ لؤم حياتي بأسره الى ان تنبهت من غفلتي وان اذكر محاسنها بعد انتباهي .

ذكرت بادي ء بدئ الحسنات في حياتي ولكنني لما فكرت في الحوادث المذكورة التي انابتني في غضونها رأيت ان مثل هذه الترجمة ان لم تكن كلها كذباً لم تكن مكتوبة باخلاص لاني مثلت فيها المناحي الحسنة واسدلت حجاب السكوت على المناحي السيئة وعند ما فكرت في كتابة الحقيقة على بابها دون ان اكتم منها شيئاً من السيئات التي تخللت حياتي ذُعرت بما ذكرت مما يكون لهذه الترجمة من التأثير في الاذهان وفي خلال ذلك مرضت وعاودني الفكر خلال هذه العطلة التي ساقني اليها حكم الاضطرار وبقي يتردد في خاطري ذكرى ولكنها كانت مفزعة . وكنت اشعر بحدة لا توصف بما قاله بوشكين الشاعر في قصيدته « الذكرى » .

ذاقت نفسي عذاب الجحيم لما ذكرت لؤم حياتي الماضية ولم اعد أفارق تلك الذكرى بتة فانها سممت حياتي وكدرت سربي وشربي . جرت العادة ان يأسف الناس على نسيان ما جرى لهم بعد موتهم فيا ما اسعد ذلك من حال . وليت شعري اي اوصاب كانت تنالني في هذه الحياة لو ذكرت كل ما تعذب به وجداني وكل ما ارتكبته من اثم في حياتي السالفة ومن ذكر الخير كان عليه ان يذكر الشر . فياسعدي ان نسيت ذكرى ما شقيت به بعد موتي فلا يبقى من ذات نفسي غير الوجدان ذاك الوجدان الذي يمثل الخير والشر والصغير والكبير والسلبي والايجابي .

نعم اذا غربت الذكرى عن الذهن عُدَّ ذلك نعمة كبرى وما دامت تتردد في الخاطر لا يتأتى ان يعيش المرء مسروراً ولكن اذا غابت صورتها ندخل ميدان الحياة وصحيفتنا بيضاء نقية فيكتب عليها ما جدَّ لنا من الخير والشر .

وبعد فلم تكن حياتي كلها منحطة المقام في خبثها بل كان منها عشرون سنة كذلك ومعلوم ايضاً ان حياتي في ذاك الدور لم تكن شراً دائماً كما تمثلت في عيني في غضون مرضي اذ قد تنبهت فيّ اثناء ذلك اميال نحو الخير لم تطل كثيراً بل اطفئت شعلتها للحال بادهمني من الشهوات التي لم يضبطها عنان.

على ان اشتغال الفكر على هذا النحو في خلال مرضي دلني دلالة صريحة على ان ترجمة الانسان نفسه على ما تكتب في العادة التراجم اذا أُغضيت فيها عن نذالتي وجريمتي في حياتي تكون ولا جرم كذباً وان خير الاساليب التي يتوخاها الكاتب في ترجمته ان ينطق بالحقيقة على جليتها . وامثال هذه التراجم هي التي تمثل الحقيقة على بابها للقاريء وان اورثت كاتبها الخجل .

فلما ذكرت ماضي حياتي على هذا النحو اي ذكرت ما اتيت من خير وما تم على يدي من شر رأيتني اقسم ادوار حياتي الطويلة باسرها الى اربعة ادوار : اولها ذاك الدور العجيب وخصوصاً اذا قيس بالدور الذي يليه — البار البهج الشعري واعني به دور الطفولية . ثم الدور الثاني وهو عشرون سنة كان فيه من الفساد الغليظ بالخدمة والطمع بالمعالي وخصوصاً في المكاسب ما كان . ثم جاء الدور الثالث وهو ثماني عشرة سنة اي منذ تزوجت الى نشوري الروحي وهو الدور الذي يحق له ان يدعى في نظر العالم دور الاخلاق بمعنى اني عشت في هذه الثماني عشرة سنة كما تعيش الأسر بالحشمة والنظام غير مستسلم لمفسدة ينبذها الناس ولكن جميع مصالحي كانت مقصورة على عنايتي بأسرتي عناية مقرونة بحب الذات ممزوجة بالانانية وعلى زيادة ثروتي وعلى نجاحي الادبي وعلى مختلف حظوظ تنالها نفسي والدور الرابع يرد الى عشرين سنة التي انا فيها الآن واود ان اموت عليها وبها يتمثل لي ما في الحياة الماضية من عظيم الخطر وهو الدور الذي لا ابغي سواه ما خلا اعتيادي الشر الذي اندمج في روحي في الادوار الاخيرة .

وارى كتابة حياتي على هذا النحو انفع من هذر بدر من القلم في اثني عشر مجلداً من مصنفاتي وتناولها الناس في عيدنا ونسبوا اليها من التأثير ما لا تستحقه .

كانت جدتي ابنة الامير نقولا ايفانوفيش غورتشاكوف الاعمى وكان غنياً تأثل وارتاش وجمع من حطام الدنيا شيئاً كثيراً . وكل ما اتصوره فيها انها كانت قليلة التعلم كثيرة الذكاء وكانت مثل كثيرات من ابناء وطنها على ذاك العهد تحسن الفرنسوية اكثر من الروسية وكان تعليمها عبارة عن معرفة هذه اللغة فقط فدللها والدها اولاً ثم زوجها وكانت عنواناً على الأسرة باجمعها لانها كانت بكرها وموضوع احترامهم اجمعين . وكان

جدي على ما ظهر لي ايضاً على شاكلة جدتي محدود المعرفة ولكنه كان من اللطف والانس على جانب وقد ادى به الكرم الى الاسراف الذي بلغ حد الحمق . وكان يشق ويخلص وكانت داره في مقاطعة يبليف في برليانى ميدان الولائم وتمثيل الروايات والمراقص والمآدب ويضاف الى ما يقتضي ذلك من النفقات ولوع جدي بالمقامرة على ضعف معرفته فيها مع ما كان مُني به من اقراض كل من يقصده دراهم ما كان يرجعها اليه . هذا الى الاعمال الكثيرة التي باشرها فانتهت كلها بخراب بيته وافلاسه حتى اباع املاك زوجه واضطر الى التوظف فصار للحال والياً لقازان . ذكروا لي ان جدي لم يكن يقبل الرشى ما خلا رشوات من عملة الابنكحول وهي الرشوة التي ما كانت تستنكر اذ ذاك في كل ناحية من انحاء الامبراطورية الروسية ولكن قيل لي ان جدتي كانت تقبل الرشوة بدون اطلاع جدي وهكذا دامت الحال حتى زوجت ابنتها الثانية في قازان والبكر في بطرسبرج من احد الاشراف وبعد ان قضى زوجها نحبه سكنت جدتي لدى والدي في اياسنيا بوليانا وهناك ادركتها شيخة عجوزة وكانت تحب والدي واولاده وتتلهى بنا كما تتلهى بخالاتي . وظهرانها لم تكن تحب والدتي لانها كانت تحسدها دون قدر والدي وتحسدها على حب والدي لها .

واذكر من جدتي سياحتنا معها الى موسكو واهم ما يجاج فكري من ذلك ثلاثة مشاهد . المشهد الاوّل عند ما كانت جدتي تغسل يديها بانصابون تخرج منها فقاقيع كنت أُدهش وأُسر بمرآها واذكر يديها البيضاوين ووجهها الناصع الباسم . والمشهد الثاني ايام كنا نذهب الى غابة البندق ونجنيه في صحبة مؤدبنا وكانت جدتي تصحبنا في عجلتها والخادم يجر اليها الاغصان الميلاء لنقطف بندقها وتضعه في كيس امامها واذكر قوة معلمنا في جره الاغصان الكبيرة من ادواح البندق وتلك الظلال الوارفة والحر الشديد وسط الغابة والهواء البليل في الظل وتناوح اشجار الغاب ورائحتها وكيف تأكل الفتيات اللاتي كن معنا البندق على طراوته فلا يبقي منه ولا نذر وغلأ به جيوبنا واردان ثيابنا وعجلتنا . وكنت يخيل لي ان تلك الفقاقيع لا يتيسر احداثها الا على يد جدتي وذاك الريح البليل في غابة البندق لا يهب الا اذا رافقتنا اليها جدتي . والمنظر الثالث وهو اعظمها واعني به (ليون ستيبانيتش) الاعمى القصاص الذي كان في بيتنا من بقايا مجد جدي الغابر يسكن دارنا ولا عمل له الا سرد الاقاصيص في الليل وذلك لان عماه كان يساعده على حفظ الحكايات بالفاظها بمجرد تلاوتها عليه مرتين وكان يتلو على مسامع الحضور حكاية قمر الزمان المعروفة في قصة الف ليلة وليلة وكنت اقترب من القصاص استمع اليه ولكنني ما كنت افهم شيئاً مما يقول ثم انام ولا اعود احس بما يجري في دارنا الى الغد .

وما اعرفه عن جدي والد امي انه بعد ان صار قائداً عاماً على عهد الامبراطورة كاترينا عزل دفعة واحدة عن منصبه لانه لم يرض ان يتزوج ابنة اخت المشير بوتمكن نديم كاترينا الثانية فناه عن وظيفته لانه رفض الزواج منها لاسباب عرفها فيها رداً غير جميل . ولما نحي عن منصبه تزوج بفتاة من اهل الصون رزق منها ابنة . وكان جدي هذا مشهوراً بجبروته وانه من الرؤساء البغاة . بيد اني لم ينقل لي شيء عن قسوته ولا عن عقوباته المعتادة في عهده واظن ان ذلك كان يقع منه على التحقيق لكنه لم يجسر احد حاشيته وفلاحيه ان يطلعني على ذلك مع الحاحي في السؤال وذلك تشريفاً لقدره واعظاماً لحكمته فلم اكن اسمع عنه غير عبارات الثناء على بعد غوره وسداد نظره واعتداده بفلاحيه ونداماه على كثرتهم . وقد اسس بناية عظيمة لخدمته وكان لا يقصر عنايته على اطعامهم فقط بل يعنى بكسوتهم احسن كسوة و بادخال السرور على قلوبهم وكان يقيم لهم الالعاب المختلفة في ايام الاعياد والمواسم . وكان اتباعه وخاصته آمنين تبا لهُ من النفوذ من ظلم الظالمين من الحاكمين فمن ثم كان جدي في جميع اعماله يميل الى المتانة والراحة والاحسان والظرف يعشق الطرب والموسيقى ويجلس الى سماعها من والدتي في اماكن اعدها لذلك في حديقة الدار

لا اتذكر والدتي قط فقد كنت ابن سنة ونصف لما قضت نحبها فانا لا امثلها اصلاً ولا اعرف شيئاً يدلني على جسم انسان بل اعرفها بالروح وكل ما بلغني من امرها كان حسناً جميلاً . سألت اهلي عنها فحدثوني باطيب الحديث لا لكونها امي بل لانه كان فيها صفات عالية من الخير والاحسان . وكنت اجدني في طفوليتي بين ظهراني قوم حفهم الصلاح والفضل ارى ذلك خاصة فيهم من والدي الى سائق عجلتي كما يرى اصفياء القلوب غالباً كل حسن في الناس ولا تتمثل لهم الا الصفات الطاهرة . وعندي ان ما تمثل لي فيمن نشأت بينهم من الصفات كان الى الصحة اقرب . ولذلك أُعجبت به في صغري .

لم تكن والدتي من الجمال بحيث تسبي الالباب بل كانت على جانب من الذكاء بالنسبة لعصرها فكانت تحسن الروسية قراءة وكتابة خلافاً لمعاصراتها اذ ذاك وتعرف الفرنسوية والالمانية والانكليزية والايطالية ولها ميل الى الفنون وتجيد الضرب على البيانو . ولقد ذكر لي عشيراتها بانها كانت تحسن القاء الحكايات فتستدعي اعجاب الحضور وترتجل الكلام ارتجالاً وكانت تمتاز بكظم غيظها على ما يروى لي الخدام . فاذا عرض لها ما يهيجها يحمر وجهها وربما بكت على ما نقلت لي وصيفتها ولكنها ما قط فاهت بكلمة قبيحة اذ انها لم تكن تعرف من الفاظ الهجر ولا كلمة .

لدي رسائل كتبتها والدتي الى والدي والى خالاتي وجريدة تصف فيها سلوك اخي

البكر (نيكولانكا) الذي كان عمره ست سنين عند ما توفيت وكان اشبه منا كلنا بصورتها . وكانت هي وابنها على ما استنتجت ذلك من كتاباتها ولحظت ذلك من اخي وعلمته علم اليقين عدم الاحتفال بآراء الغير والاتضاع بحيث كانا يحاولان ان يكتما فوائد التعليم والذكاء والفضيلة التي امتازا بها دون سائر القوم ويخجلان مما تحليا به من الصفات حتى قال احدهم في اخي انه كان بريئاً من العيوب اللازمة ليعد صاحبها من كبار الكتاب ولقد شاهدت ذات يوم احد الاغنياء الساقطين وهو حارس والي الولاية وكان يصطاد معه اخذ يهزأ به امامي واذكر كيف ان اخي لما حدجني ببصره مسروراً رأى في هذه الاهانة مسرة عظمى . ومثل هذا الخلق كان في والدتي وكانت في اخلاقها ارقى من والدي وأسرته اللهم الا (تاتيانا الكسندرا اركولسكي) التي قضيت معها نصف حياتي وكانت امرأة مشهورة باخلاقها المهذبة . ولم يكن اخي وامي ممن يقولان الا خيراً عن الناس وكنت ارى شقيقي اذا كان له ما يقال في سيرة احد ان يبتسم ويبدي حسن الخلق وكذلك كانت امي كما فهمت من رسائلها .

وكنت قرأت في حياة احد القديسين قطعة من كلامه تأثرت بها نفسي . ذلك ان راهباً كان معروفاً عند الناس بكثرة خطاياه فرآه رئيسه ذات ليلة في عداد الاخيار يسرح ويمرح في اعلى عليين فسأله عن امره فقيل له انه لم يعتب احداً في حياته . قلت فان كان في الآخرة جزاء يشبه هذا فوالدتي واخي لا شك احرزا هذا الجزاء .

وامتازت والدتي عن محيطها بحرية وجدانها وسذاجة لهجتها في رسائلها فكان القوم اذ ذاك يغالون في اظهار حاساتهم . عادة لم كانت مألوفة غير مستنكرة فيقول القريب لقريب يكتب اليه انت منقطع القرين واني عبدك وانت بهجة حياتي وكم كانت التجيلات في الاخوانيات قليلة دل ذلك على قلة اخلاص الكاتب للمكتوب اليه . وقد شهدت هذه العادة في رسائل والدتي ولكنها كانت معتدلة في اظهارها وعباراتها تدل على الاعتدال والاخلاص . قيل لي ان والدتي كانت تحبني حباً جماً وتدعوني بنيامين الصغير وقد كانت غنية وكان والدي نشيطاً بهجاً واسع الصيت والصلات واظن ان والدتي كانت تحب والدي لانه والد بنيها وزوجها ولم تكن تحبه حب العاشق المستهام وكان حبها لخطيبها الاول الذي اختطفته المنية حب الفتيات الذي لا يشعرن به الا مرة واحدة وان ما اعلمه علم يقين هو ان امي كانت تحب ثلاثة حباً حقيقياً وهم خطيبها الاول والآنسة اينيش الفرنسوية احدى صويحبات وابنها البكر وكانت تنشيء له جريدة يومية تحضر له فيها ما يقترفه من الذنوب وتعيده على مسامعه ثانية وفي هذه الجريدة ذكر لرغبتها الشديدة في تربيته ما امكن وهناك دليل

على انها كانت ضعيفة في هذا المعنى لا تدري ما تعمل . مثال ذلك انها كانت توثبه عند ما يشتد فيه الشعور والاحساس فيبكي مثلاً عند ما يشاهد اما زانات تتألم امامه لان على المرء برأيها ان يكون قاسي القلب وكانت تعاتبه على الصغائر كأن يقول لجدته اشكرك عوضاً عن ان يقول لها اسعد الله صباحك ومساءك . واكدت لي خالتي ان امي كانت تحبني واني كنت احد من يحبه قلبها وخلفت والدتي خمسة اولاد كانت آخرهم ابنة ماتت في نفاسها . وظلت مع والدي تسع سنين كانت ايام سعد ورخاء فكانت على علو منزلتها ولطافة اخلاقها وآدابها تحب من حولها ويحبونها وكانت اميل الى العزلة تصرف وقتها باولادها ومطالعة الروايات امام جدتي في الليل بصوت عال والاشتغال بمطالعات نافعة مثل كتاب « اميل » للفيلسوف روسو والمذاكرة فيما قرأته ويقضين شيئاً من الوقت في الضرب على آلة طرب ثم يتدارسن اللغة الايطالية ويتنزه وترى اعمال البيت .

لبعض الأسرات اوقات من الصفاء لا يزعجها موت احدهم ولا مرض بعض افرادهم فيعيشون سعداء وهذا الدرر صادفنه والدتي الى حين وفاتها فكان والدي يدخل البهجة على قلوب اهل البيت بما يتوفر على ذكره من الاضاحيك الملهية والاحاديث المسلية .

هذا ما عرفته من مطالعة المفكرات والرسائل عن والدتي وحياتي في بيتنا على ذاك العهد في الطفولية وهاءنذا وصلت الى وقت ألم فيه بما اذكره بنفسي فارويه مقروناً باشخاصه واماكنه . اما والدي فقد كان عمره سنة ١٨١٢ سبع عشرة سنة وانخرط في سلك الجيش على كثرة توسل اهله به ليرجع عما قصد له وخوفهم عليه وكان اذ ذاك احد انسبائنا قائد الجيش العامل فعينه له حاجباً واشترك في حرب سنة ١٨١٣ — ١٨١٤ واسره الفرنسيس ولم يخلص من الاسر الا سنة ١٨١٥ عند ما دخل جيشنا باريز

بلغ العشرين من عمره ولم يكن على شيء من العفاف حتى ان اهله زوجوه بخادمة وكان عمره ست عشرة سنة تفادياً من ان تسوء صحته على نحو ما كان القوم يذهبون اليه اذ ذاك فولد له منها ابن دعوه ميشانكا عاش في حياة والدي عيشة حسنة ثم ساءت حاله فكان كثيراً ما يلجأ الينا لنعينه واني لاذكر شعور التعجب الغريب الذي شعرت به عند ما امسى اخي هذا شحاذاً يستوكف الاكف وهو شبيه في خلقته بابي بل اشدنا به شبهاً ثم يجيء ويطلب منا ان نحسن اليه بشيء من المال ويسر بما ندفعه اليه من عشرة روبلات او خمسة عشر . ثم تخلى والدي عن الخدمة ونال راتب العزل ولحق بجدي في قازان وكان حاكمها وبعد قليل ذهب جدي الى سبيله واصبح والدي رب أسرته مع جدتي المعتادة على البذخ والديون مثقلة كاهل بيتنا وعندئذ تزوج ابي بوالدتي على ما نحو شرحته آنفاً من امرها .

كان والدي دموياً ربعة القوام مقبول الوجه كثيب النظر يعنى بامور زراعته ولم يكن معروفاً بالقسوة بل كان الى الضعف اقرب بحيث اني لم اسمع انه كان يضرب فلاحيه على اجسادهم على نحو العادة المتبعة في هذه الديار على انه لم يبلغني انه كان في بيتنا اثر لهذه العقوبات الا بعد موته. وحدث ما شئت ان تحدث عن مبلغ استغرابي يوم كنت آتياً من نزهة لي مع مؤدبي وسألنا احدنا وكيلنا وكان معه سائس الخيل عن المكان الذي يقصده فقال له انه ذاهب الى الانبار ليضرب السائس على بدنه ورحت من ساعتي اسأل خالتي عن سر ذلك وكانت هي تكره العقوبة بالضرب فلامتني على اني لم اوقف ذاك الوكيل عن عمله ولكن بعد ان سبق السيف العذل.

كان ابي مصروفاً بجملته الى الزراعة وفض القضايا التي خلفها له والده وكان يذهب الى الصيد ويحب المطالعة كثيراً وقد اقتنى مكتبة فيها كتب آداب الفرنسيس وبعض كتب العلم وآلى على نفسه ان لا يبتاع كتاباً جديداً حتى يأتي على ما لديه من الاسفار ويطالعها برمتها ولم يكن به ميل الى العلوم. بيد انه كان في علمه يعادل المتعلمين من اهل عصره ولا يصح ان يسمى من الاحرار في دهره بل كان يكره تغيير شيء من حاله فلا يخضع للكبراء ولا يزور الموظفين بل ولا يزورنا واحد منهم لما كان بينه وبين اهل الحكم في ذاك الوقت من التباين الضمني في المباديء والغايات

واني لاذكر والدي وهو جالس على ديوانه يدخن بغليونه واذكر صيوده واذكر ايامه واجتماعنا به وتحفيظي شيئاً من شعر بوشكين وكيف أعجب بتلاوتي له. نعم اذكر رحلاته وغدواته وروحاته واذكر ما كان يفيضه عليّ من حسناته واحسانه واذكر حبه وحبي ذلك الذي شعرت به بعد موته اكثر من شعوري به من قبل. وهنا استطرد الى ذكر شيء مما علق بذهني من امور طفوليتي اذكرها وانا لا اثلبث بعضها حقيقية كانت او خياليه. ولقد كنت في القماط واريد ان افلت يدي ولا استطيع ذلك واصرخ وابكي وصوتي كان منكراً حتى في عيني ولكن ما كنت املك نفسي من البكاء وارى احدهم في قربي يحنو عليّ ولا اذكر شخصه وارى ذلك كأنه ظلم او يكاد يكون ظلماً ولكني اذكر انهما كانا اثنتين وكان صوتي يؤثر فيهما فكانتا تسمعان صوتي ولكنهما لا تنقذاني مما اشكو منه ثم اصرخ بشدة ايضاً فيريان انه من اللازم ان اكون مقيداً في قماطي وانا ارى انه ليس كذلك واريد ان اثبت لهما ذلك واصرخ صوتاً حاداً كانت نفسي تنكره ولكن لم اكن املك منه واشعر بالظلم والقسوة لا من الناس فقط بل من الاقدار اذ كنت اشهد الناس يرثون لحالي وكنت اشفق على نفسي ولا اعرف ذلك ما هو ولن اعرفه. هل كان قماطي عند ما كنت بعد رضيعاً واحاول ان اخرج ذراعي من القماط او القماط عند ما كانت سني تزيد على سنة.

وعلى الجملة فقد كان ذلك من المؤكد اول تأثر بل اشده شهدته في حياتي ولا اذكر صوتي وآلامي فقط بل اذكر مزاجي واختلاف تأثراتي . اطلب الحرية وهي لا يتضرر بها انسان وانا على حاجتي الى القوة ضعيف وعم الاقوياء وكذلك اذكر عند ما كانوا يغطسونني في القادوس وقد جعلت فيه رائحة زكية جديدة يمسحون بها جسمي واستلذ جلوسي في القادوس وهو صقيل لطيف والماء فاتر خفيف ويد مربيتي تروح وتجيء تدلك بدني . وهاتان الذكريان هما اللتان اذكرهما منذ ولدت الى الثالثة من عمري بل اني الى الخامسة لا اكاد اذكر السماء ولا الشمس ولا الورق ولا العشب . بحيث ساغ لي ان اقول اني عشت عيش البهيم ايام كنت اتعلم وانظر وانمت واحاول ان اتكلم وانام وارضع واضحك وأسر والدتي في ذاك العهد حصلت ما اعيش به الآن حصلت به في مدة وجيزة باقصى ما يمكن من الكثرة بحيث اني لم استطع ان ازد واحداً في المئة على هذه المعرفة . ليس بيني وبين ابن الخامسة سوى قدم كما انه ليس بين الوليد الى ابن الخامسة سوى مسافة لا تصدق وليس بين الجنين والوليد سوى هوة وليس بين العدم والجنين سوى شيء صعب تعليله ومعرفته . وهنا يقال ان الوقت والسبب هما صور من الفكر وان معنى الحياة خارج عن تلك الصور بيد ان حياتنا كلها ليست سوى الخضوع المتواتر لهذه الصور او الخلاص منها .

اما تذكاراتي القصية فانها ترجع الى السنة الرابعة او الخامسة من عمري وكلها قليلة لا تتعدى حد البيت والعيش المنزلي . وما انس لا انس في طفوليتي وانا على سريري فرح مبتهج ووصيفتي او اللائي عهد اليهن تربيتي تقص عليّ قصة ايرميفنا (كما تخوف عامة النساء في الشرق الادنى الاولاد بالعفريت والبعبع) فكانت تنقبض نفسي لسماعها وتبدل البهجة بالفزع والفرح بالترح واذكر شقيقتي بجانبي واذكر مؤدبنا الالماني تيودور ايفانوفيتش وان لم اكن في تلك السن تحت وصايته واذكر دارنا وانها كانت شاهقة واذكر ما القاه فيها من النساء وربما كن من الغسالات وكيف كنت اقفز ويقفز معنا مؤدبنا ولكن قفزة خفيفة .

هذا ما يتردد في خاطري من ذكرى الحوادث التي طرأت عليّ قبل الخامسة اما بعدها فان ما اذكره ولا انساه هو اخذهم بيدي الى المؤدب ايفانوفيتش واستعاضتي عن اللعب والقفز وغيرهما بالدراسة وتبديل ما كنت الفته بعادات اخرى ومنازع جديدة . وهنا ذكر الحكيم خالته تاتيانا الكسندروفنا وما اثرته باعماله في حياته وكانت من النساء المتهذبات فعلمته الحب والميل الى الوحدة والتأثر من المظالم

الولايات المتحدة

يقسم تاريخ الولايات المتحدة الى خمسة ادوار : الاول دور السكان الاصليين وهم الهنود والثاني دور السفر والاكتشاف وهو من سنة ٩٨٦ م الى سنة ١٦٠٧ م والثالث دور الاستعمار وهو من سنة ١٦٠٧ م الى سنة ١٧٧٥ م والرابع دور الثورة من اجل الاستقلال وهو من سنة ١٧٧٥ م الى سنة ١٧٨٩ م والخامس دور الجمهورية وهو من سنة ١٧٨٩ م الى سنة ١٩٠٧ م .

اكتشف خريستفورس كولمبس اميركا سنة ١٤٩٢ ب . م فاخذ بعض الاوروبيين بادىء بدء يهاجرون اليها بقصد امتلاك ديارها وجمع لجينها ونضارها . ولما ذاع صيت هذه الديار في اقطار اوروبا واشتهر امر غناها واتساع بقاعها وخصب اراضيها وخباوة هنودها اخذ يتقاطر اليها الاوربيون زرافات وجماعات وذلك من سنة ١٦٠٧ م فصاعداً

وكانت الامة الانكليزيه اكثر الامم الاوربية اهتماماً بالمهاجرة الى اميركا . ثم لما كثر عدد الاوربيين فيها اغتصبوا املاكاً واسعة من الهنود واشتروا بعضها باثمان بخسة واستوطنوا بعض مقاطعات الولايات المتحدة .

وفي ١٨ نيسان سنة ١٧٧٥ م اعلن الاميركيون الحرب على بريطانيا العظمى . وفي ٧ حزيران سنة ١٧٧٦ نهضوا لطلب الاستقلال من سلطة تلك الدولة لاستبدادها بهم وتضييقها على املاكهم حينئذٍ فتابعوا الحرب . وبعد سبع سنين جرت فيها الدماء انهاراً استقلوا في ٤ تموز سنة ١٧٨٣ م

ويرجع معظم الفضل لذلك الى ريكارد هنري لي وتامس جفرسن من فرجينيا ويوحنا ادامس من ماسشوست وبنيامين فرنكلن من بنسلفانيا وروجر شيرمان من كنتكت وروبرت لنكستن من نيويورك فهم الستة المشهورون الذين اجتمعوا في ١١ حزيران سنة ١٧٧٦ م وقد قرروا ان ينزعوا ربقة الاستبداد عن رقاب الشعب

وسنة ١٧٨٩ م جدد الاميركيون المعاهدة بعضهم مع بعض ودوّنوا فيها نظامات وشرائع في مدينة فيلادلفيا . وكان عدد الولايات التي دخلت في المعاهدة اذ ذاك ثلاث عشرة ولاية وهي نيوهمبشير وفرمونت ومسشوست ونيويورك وكنتكت ونيوجرسي وبنسلفانيا ودالوار ورودايلند ومريلاند وفرجينيا وكرولينا الشمالية والجنوبية

وفي ٤ حزيران سنة ١٨١٢ م اعلنت الولايات المتحدة الحرب ايضاً على بريطانيا العظمى وكان ذلك في عهد ماديسن الرئيس الرابع للولايات وكانت نتيجة تلك الحرب ازدياد العمران وتعزيز قوة السكان .

وفي ٢٦ نيسان سنة ١٨٤٥ م اخذت الولايات المتحدة تحارب الاسبان فاظهر الاميركيون قوة الاتحاد والاستقلال ولم تزدهم تلك الحرب الا مجداً وعزاً وقوة وعمراناً . ونشأت الحرب المذكورة في عهد بولك الرئيس الثاني عشر للبلاد .

وفي ١٢ نيسان سنة ١٨٦١ بدأ حرب تحرير العبيد بين الشمال والجنوب في الولايات المتحدة وانتهت في ٩ نيسان سنة ١٨٦٥ م وكان رئيس البلاد اذ ذاك ابراهيم لنكن الشهير

وسنة ١٨٩٨ م حاربت الولايات المتحدة اسبانيا وفازت عليها ووسعت دائرة نفوذها واشتد ساعدها وذاعت سطوتها واتسع نطاق بقاعها وارتفع شأن تمدنها وعمرانها وكان ذلك في عهد مكنلي الرئيس الخامس والعشرين للبلاد

***

اول رجل عظيم رأس الجمهورية الاميركية هو جورج واشنطن . ولد في ٢٢ شباط سنة ١٧٣٢ م في وست فرجينيا وشب على الآداب الرائعة والهمة الرافعة والمبادىء النافعة وفي ٣٠ نيسان عام ١٧٨٩ م رأس الولايات المتحدة وظل في منصبه الخطير ٨ سنوات وقضى نحبه في ١٢ كانون الاول سنة ١٧٩٧ م . واقل ما يقال عنه انه كان رجلاً فاضلاً ورئيساً عاملاً غير مدافع رقى بلاده الى درجة سامية تحسد عليها . والشعب الاميركي يجله كثيراً ويعيد له كل سنة ويدعوه اب الامة

وتولى اريكة الرئاسة بعد واشنطن يوحنا ادامس . ولد في برينتري من اعمال ماسشوست في ١٩ تشرين الاوّل عام ١٧٣٥ م وانتخب رئيساً للولايات المتحدة في ٤ آذار سنة ١٧٩٧ م واتم مدة الرئاسة التي هي اربع سنوات . وقد نمت البلاد في ايامه وانتهت مدته بختام القرن الثامن عشر

وخلف الرئيس ادامس تامس جفرسن احد الستة الاشخاص المصلحين الذين مرّ ذكرهم وهو الرئيس الثالث . ولد في البيمارلي من اعمال فرجينيا في ٢ نيسان عام ١٧٤٣ م وانتخب رئيساً للبلاد في غرة القرن التاسع عشر سنة ١٨٠١ م ورأس هادورين اي ثماني سنوات وكان غيوراً على الاصلاح ومصلحة الوطن والامة كفوءاً للقيام بالعظائم والامة الاميركية تحسبه من اعظم المصلحين وافضل رؤساء البلاد توفي في ٤ تموز سنة ١٨٤٦ م

وقام بعد جفرسن جيمس مادسن وهو الرئيس الرابع ولد في كن جورجيا من اعمال فرجينيا في ١٦ آذار عام ١٧٥١ م وتوفي في ٢٨ كانون الثاني عام ١٨٣٦ م في مونتبلير من اعمال فرجينيا . كان مادسن ناظر الداخلية في عهد الرئيس جفرسن وفي ٤ آذار عام ١٨٠٩ م انتخب رئيساً للولايات المتحدة ورأس هامرتين والرئيس مادسن افضال على الجمهورية

يذكرها الاميركيون ويغالون بها وقام بعد جفرسن جيمس منرو وهو الرئيس الخامس ولد في ٢٩ نيسان سنة ١٧٥٨ م في ويستمورلاند من اعمال فرجينيا ومات في ٤ تموز عام ١٨٣١ وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨١٧ م ورأس البلاد مدتين اى ٨ سنوات . ومونرو وهو الرئيس المشهور بشريعته التي سنها وهي « ان اميركا للاميركيين » وقد افادت هذه الشريعة الجمهورية الاميركية فوائد عظيمة . وكان مونرو احد المتصفين بالغيرة والمروءة والشهامة وخدمة الدولة والامة خدمة صادقة .

وخلف مونرو يوحنا كونيكي ادامس وهو الرئيس السادس . ولد في شهر تموز عام ١٧٦٧ وقضى نحبه في ٢٣ كانون الثاني عام ١٨٤٨ م وكان من اقدر رجال الجمهورية في السياسة الخارجية والداخلية . تولى نظارة الداخلية في عهد الرئيس مونرو وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨٢٥ م وبعد ان اكمل مدته عين نائباً لولاية ماسشوست في واشنطن العاصمة

وقام بعد يوحنا ادامس اندراوس جاكسن وهو الرئيس السابع . ولد في اكسم من اعمال سائلمنت في ٥ آذار عام ١٧٦٧ م وتوفي في ٨ حزيران عام ١٨٤٥ م وانتخب للرئاسة عام ١٨٢٩ م ورأس البلاد مدتين وكان ديمقراطياً

وخلف جكسن مارتن بيورن وهو الرئيس الثامن ولد في كندر هوك من اعمال نيويورك عام ١٧٨٢ م ومات في عام ١٨٦٢ م . كان عضواً في مجلس الاعيان في نيويورك ونائباً للرئيس جكسن ٤ سنوات وفي ٤ آذار عام ١٨٣٧ م انتخبه الحزب الديمقراطي رئيساً للبلاد وكانت مدته اربعة اعوام .

وقام بعده وليم هنري هرسن وهو الرئيس التاسع والبطل الشهير . ولد في بيركلي من اعمال فرجينيا سنة ١٧٧٣ م وانتخب للرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٤١ م وكانت مدته شهراً واحداً وذلك بسبب وفاته .

واقيم بعده يوحنا تيلر وهو الرئيس العاشر . ولد في مدينة شارلس من اعمال فرجينيا في ٢٩ آذار عام ١٧٩٠ وتوفي في ١٧ كانون الثاني عام ١٨٦٢ م . وانتخب للرئاسة في ٤ نيسان سنة ١٨٣٧ م وكانت مدته اربع سنوات الا ثلاثين يوماً .

وخلف الرئيس تيلر نوكس بولك . ولد في كرولينا الشمالية عام ١٧٩٥ ومات في تانسي عام ١٨٤٩ م . وولي رئاسة البلاد في ٤ آذار عام ١٨٤٥ م وكانت مدته اربعة اعوام وهو الرئيس الحادي عشر للبلاد .

وقام بعد بولك زكريا تيلر . ولد في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٧٨٤ م وقضى نحبه في ٩ تموز عام ١٨٥٠ م وتولى كرسي الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٤٩ م وكانت مدته اربعة

شهور واربعة ايام . ومما يذكر عنه انه كان محبباً الى النفوس وذا شهرة عظيمة حازها بدربته وحنكته وبسالته التي ابداها ايام كان القائد العام في حرب الولايات المتحدة مع المكسيك وهو الرئيس الثاني عشر .

وظهر بعد تيلر ميلارد فيلمور وهو الرئيس الثالث عشر . ولد في كيفونيورك في ٧ كانون الثاني عام ١٨٠٠ م ومات في ٨ آذار عام ١٨٧٤ م في بفلو نيورك . وانتخب للرئاسة في ٨ ايار سنة ١٨٤٩ وكانت مدته ثلاثة اعوام وثلاثة اشهر و٢٧ يوماً

وخلف فيلمور فرنكلن بايري وهو الرئيس الرابع عشر . ولد في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٨٠٤ م وقضى نحبه في ٨ تشرين الاول في نيوهمشير عام ١٧٦٩ م وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار سنة ١٨٥٣ م وكانت مدته اربع سنوات . وفي اثناء رئاسته فتحت ابواب التجارة للولايات المتحدة في مملكة يابان وكان بايري ديمقراطياً

وقام بعد الرئيس بايري جيمس بوتشانن رئيساً على الولايات وهو الرئيس الخامس عشر ولد في ١٢ نيسان عام ١٧٩١ م في بلدة الرئيس فرنكلن من اعمال بنسلفانيا . وتوفي في اول حزيران سنة ١٨٦٢ م . كان الرئيس بوتشانن قبل ان يتولى رئاسة البلاد ناظر الداخلية في عهد رئاسة بولك وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨٥٧ م وكانت مدته اربع سنوات وكان ديمقراطياً

اما ابراهيم لنكن فقد ولد في ١٢ شباط سنه ١٨٠٩ م في ولاية كنتكي وقتل في ١٥ نيسان سنة ١٨٦٥ م وذلك في اول عهد رئاسته للمدة الثانية وانتخب رئيساً للولايات في ٤ آذار عام ١٨٦١ م وكانت مدته اربع سنوات و٤٢ يوماً وهو الرئيس السادس عشر المشهور بفضائله والمحبوب جداً من شعبه . وتحتفل الامة الاميركية في مولده سنوياً اعتباراً لخدمه الجليلة في سبيل الانسانية والوطنية وتقديراً لمقامه السامي في قلوب الاميركيين خصوصاً وعالم الحضارة عموماً

والرئيس السابع عشر هو اندراوس جنسن . ولد في كرولينا الشمالية عام ١٨٠٨ ومات في ٣١ تموز عام ١٨٧٥ وتولى الرئاسة في ١٥ نيسان سنة ١٨٦٥ وكانت مدته ثلاثة اعوام وعشرة اشهر و١٥ يوماً

والرئيس الثامن عشر يوليس غرانت . ولد في ولاية اهايو في ١٧ نيسان عام ١٨٢٣ ومات في ميفرور من اعمال نيويورك في ٢٣ تموز عام ١٨٨٥ تولى الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٦٩ وكانت مدته ثماني سنوات

والرئيس التاسع عشر هو ارثر فورد هايس . ولد في اهايو عام ١٨١٧ وكان من

اشراف البلاد واكابر اغنيائها . رأس البلاد في ٥ آذار عام ١٨٧٧ وذلك بعد ان تقلب في وظائف سامية كثيرة وكانت مدته ٤ اعوام

والرئيس العشرون هو جيمس غارفيلد . ولد في ١٩ تشرين الثاني عام ١٨٣١ في كويهنو اهايو واطلق عليه الرصاص في ٢ تموز عام ١٨٨١ ومات من جراء ذلك في ١٩ ايلول عام ١٨٨١ وتولى الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٨١ وكانت مدته نحو خمسة اشهر

والرئيس الحادي والعشرون هو تشستر ارثور . ولد في فرنكلن من اعمال فرمونت في ٥ تشرين الاول سنة ١٨٣٠ وحاز شهادة محام سنة ١٨٥٠ ثم انتخب نائباً للرئاسة عام ١٨٨٠ ثم تولاها في ١٩ ايلول عام ١٨٨١ بداعي اغتيال الرئيس غارفيلد وكانت مدته ثلاثة اعوام و٧ اشهر الاّ يومين

والرئيس الثاني والعشرون هو غروفيلد كليفلند . ولد في كالداوي من اعمال نيوجرسي في آذار عام ١٨٣٧ وبعد ان تعلم قبل في مجمع العلماء في نيويورك ثم درس الشريعة في بفلونيورد عام ١٨٥٥ م ونال الشهادة عام ١٨٥٩ م ثم نصب مدعياً عاماً لبفلو عام ١٨٦٣ م ثم مأموراً للاحكام عام ١٨٦٩ م ثم حاكماً على مدينة بفلو عام ١٨٧١ وسنة ١٨٨٣ اقيم حاكماً على مدينة نيويورك وسنة ١٨٨٤ م انتخب رئيساً للولايات وكانت مدته ٤ اعوام وكان ديمقراطياً .

والرئيس الثالث والعشرون هو هاريسن وكانت مدته من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٨٩٢ والرابع والعشرون هو كليفلند المتقدم الذكر وكانت مدته من سنة ١٨٩٢ م الى سنة ١٨٩٦ م والخامس والعشرون هو مكنلي وكانت مدته من سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٩٠١ م والسادس والعشرون هو تيودور روزفلت الرئيس الحالي

***

ما برحت الولايات المتحدة بعد استقلالها في حاجة ماسة الى من يعمر ديارها ويحرث اراضيها ويستغل خيراتها ويستخرج معادنها ويساعدها على تنظيم مدنيتها وتوسيع نطاق عمرانها وترقيها في مراقي الارتقاء ففتحت حكوماتها ابواب المهاجرة لجميع الامم على اختلاف هيئاتها ولغاتها . فوافاها الاوروبي من انكلترا وجرمانيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج واليونان وبرتغال وسويسرا وهولاندا والبلجيك ويممها الآسياوي من الصين واليابان والهند والبلاد العثمانية وجاءها الافريقي من ديار النيل ومراكش والسودان . ومما يلي يعلم القارىء نمو سكان الولايات المتحدة وعمرانها الغريبين .

عدد سكان الولايات المتحدة

عام	١٧٩٠	٣٩٢٩٢١٤
»	١٨٠٠	٥٣٠٨٤٨٣
»	١٨١٠	٧٢٣٩٨٨١
»	١٨٢٠	٩٦٣٨٤٥٣
»	١٨٣٠	١٢٨٦٦٠٢٠
»	١٨٤٠	١٧٠٦٩٤٥٣
»	١٨٥٠	٢٣١٩١٨٧٦
»	١٨٦٠	٣١٤٤٣٣٢١
»	١٨٧٠	٣٨٥٥٨٣٧١
»	١٨٨٠	٥٠١٥٥٧٨٣
»	١٨٩٠	٥٢٦٢٢٢٥٠
»	١٩٠٠	٧٥٩٩٤٥٧٥
»	١٩٠٧	

اما عدد الولايات المتحدة فكان سنة ١٧٨٩ م ثلاث عشرة ولاية واليوم صارت ٤٨ ولاية . ونقع سبع عشرة ولاية في الجهة الشرقية على الاوقيانس الاتلانتيكي وهي نيويورك ونيوجرسي ونيوهمشير ورود ايلند وماين وبنسلفانيا وكولمبياوكنتكت وفرمونت ومسشوست ومريلاند وفرجينيا وكرولينا الشمالية والجنوبية وجيورجيا ودولار

وخمس ولايات تقع على بحر المكسيك وهي تكسس ولوزيانا ومسيسبي والاباماوفلوريدو وسبع عشرة ولاية تقع في وسط البلاد وهي ايلنيين ومشغن وو يسكنسن واندیانا واهايو وايوي ونبراسكا وميسوري واوكوتا الشمالية والجنوبية وكنسس واركنس وكنتكي وتنسي ومينسوتا وفرجينيا الغربية

واحدى عشرة ولاية غربية تقع على الاوقيانس الباسيفيكي وهي كليفرنيا واوريكون ونيفادا وبوتاه ومونتانا وايدهو واوشنطن وكولوزيدو ونيومكسيكو وارزونا وايوما

ولا يزال باب المهاجرة الى الولايات المتحدة مفتوحًا لجميع الشعوب ما خلا الصينيين فان حكومة الولايات سنت شريعة لمنع دخولهم الى بلادها سنة ١٨٨٤ م . وفي ٢٨ شباط سنة ١٩٠٧ م صادق المجلس التشريعي في ولاية كليفرنيا على لائحة تمنع الاجنبي من التملك في تلك الولاية . هذا اذا لم يكن متجنسًا بالجنسية الاميركية . وغاية المجلس القصوى منع

اليابانيين والصينيين من دخول كليفرنيا والتملك فيها فهم لا يستطيعون التجنس بالجنسية الاميركية . ويظهر من تشديد حكومة العم سام على المهاجرين في هذا العهد الاخير انه لا بد من ايصاد باب المهاجرة في وجه الاسياويين ان لم يكن عاجلاً فآجلاً

ودعوى حكومة العم سام ان الشعب الآسياوي سواء كان من الصين ام اليابان ام الدولة العلية فهو لا ينفع البلاد . فما يرمي اليه الآسياوي هو جمع المال وانفاذه الى وطنه خلّ عنك انه ربما ضاقت الولايات على رحبها باهاليها بعد مضي قرن . ومن جدول عدد سكان الولايات الآنف يتبين ان زيادة السكان بلغت في مدة ١١٧ سنة نحو اثنين وثمانين مليوناً من النفوس فاذا استمرت الزيادة على هذا المعدل فلا شك ان حكومة واشنطن تضطر الى اقفال باب المهاجرة وربما قفلته قبل انقضاء تلك المدة

***

مما تقدم يعلم المطالع ان النصر كان حليف الولايات المتحدة في الخمس حروب التي ذكرتها وان نمو السكان والعمران كان أليفها وانها اي الولايات صارت في مدة ١٣٢ سنة في طليعة الممالك المتمدنة بالقوة والسطوة والجاه والثروة بل المدنية والحضارة والعمران وهذا لعمري من بعض الادلة على نشاط الشعب الاميركي واتحاده وارتقاء شخصيات افراده وعلى بذله ومروءته وشهامته وغيرته وصدق وطنيته وعلى سهر حكوماته على مصلحة البلاد والانام وقيامها بواجباتها نحو امتها ووطنها خير قيام

فانعم بكل امة تحذو حذو الامة الاميركية وتقفو اثر مصلحيها العظام ورؤسائها الكرام وانعم بكل دولة تسهر على مصلحة رعاياها وتبذل ما في وسعها لاسعادها وانهاضها . وما احرى الشعوب الآسياوية المنحطة ان تقتدي بنهضة الامة الاميركية وتنهض بذلك الشرق الهازل النازل فتخلد لملوكها وحكامها طيب الذكر ولبلادها ولها الشكر والفخر

اوماها نبراسكا «الولايات المتحدة»

يوسف جرجس زخم

الكنى والالقاب

رأيت بحثاً في الكنى والالقاب لاحد قراء المقتبس ذكر فيه القاعدة المصطلح عليها في الكنى كقولهم ابو اسحق لمن اسمه ابرهيم وابو ابرهيم لمن اسمه اسماعيل وابو داود لمن اسمه سليمان وابو محمد لمن اسمه عبدالله وابو العباس لمن اسمه احمد وهلم جرا وذكر ايضاً من شغف العرب بالكنى وضعها اياها للطير والوحش بل للجماد والمعاني مثل قولهم ابو الحصين للثعلب وابوطامر للبرغوث وابوصابر للحمار وقولهم ايضاً من باب المعاني للهرم ابو مالك وللفقر ابو عمرة الى آخر ما ورد في ذلك البحث

ولما كان يجمل بالبحث الجميل ان يحيط باطراف الموضوع بحيث لا يترك منه شاردة ولا تهمل فيه فائدة فقد قصدت ان اضم اليه اصطلاح اهالي جبل لبنان بل واكثر البلاد التي تجاوره في امر الكنى فانه قد يختلف عن الاصطلاح الاول فانهم يقولون هكذا :

ابو ملحم لمن اسمه ابراهيم وقد يقولون له ابوخليل وابوداود لمن اسمه ملحم وابوسليمان لمن اسمه داود وابوعلي لمن اسمه سليمان وقد يقال ابومحمد وابوشاهين لمن اسمه محمد وقد يقال ابوسليمان ويقال ابوقاسم وابوعلم الدين لمن اسمه قاسم وابوحسين لمن اسمه علي ويقال ايضاً ابوخطار وابونجم لمن اسمه خطار وابواحمد لمن اسمه شاهين وابومحمد لمن اسمه اسماعيل وابو يوسف لمن اسمه امين وابوعلي لمن اسمه احمد وابوعباس لمن اسمه حسين هذا اشهر كناه وقد يقال ابو قاسم وابومحمد لمن اسمه مصطفى وابومرعي لمن اسمه حسن وابوحسن لمن اسمه عبدالله ويقال ايضاً ابوزين الدين وابوحسين لمن اسمه يوسف ولمن اسمه محمود ايضاً واما الاسماء المضافة الى الدين مثل نصر الدين وزين الدين وبدر الدين فاكثرها ابومحمد ومنها يكنى بابي يوسف مثل عز الدين وعلم الدين وبابي داود مثل حسام الدين

ويقولون ايضاً ابوناصيف الياس وابوعساف جرجس وابوشبل ناصيف وابوقبلان اسعد وابومنصور حنا وغير ذلك

ومن كناهم للوحش ابوفارس للنمر . ومن الكنى الجمادية ما ينسب الى قرية عين دارة وهو قولهم للجوز ابوحسن طقطق والتين المطبوخ بالدبس ابونجم الدين محي ذقنه وللابريق ابو يوسف علم الدين ولذلك قالوا اذا حضر ابونجم الدين محي ذقنه قام يرقص ابو يوسف علم الدين اي اذا حضر التين المطبوخ بالدبس فلا بدّ من دوران الابريق للشرب وهذا يحاكي اصطلاح القدماء الذي ذكره كاتب بحث الكنى والالقاب من جهة تكنية الجوامد

ومما اهمله مكاتبكم من الكنى الحيوانية ابوجحادب للحرباء وابوالحسل وابوالحسيل للضب

وابوعسلة وابو مذقة للذئب وابوسلمان لضرب من الجعلان وابوالابد للنسر وابو روح للهدهد وابو الاخذ للباشق وابوالاخطل للبرذون وابوالاشهب للبازي وابوالاشيم وابوحسان للعقاب وابوثقيل للضبع وابوجاعرة للغداف من الغربان وابو حكيم للذباب ومثله ابوجعفر وابو برائل للديك وابو زيد للعقعق وابوالجراح وابوحذر للغراب ومثلها ابوزاجر وابو جهينة للدب وابوالجيش للشاهين وابوحاتم للكلب ومثله ابوخالد وابودغفل للفيل وابوالحسن للطاوس وابو الحسين للغزال وابو راشد للقرد وابو زرعة للخنزير وابو العرمض للجاموس وابوعكرمة للحمام وابو نعيم للكركي وابو يعقوب للعصفور وابوزفير للاوز وابوزياد الحمار مثل ابوصابر وابو طالب الفرس مثل ابي شجاع وغير ذلك

ومن المعاني ابومالك للسغب وابودراس للفرج وابوجابر للخبز ويقال له ايضاً تسمية بدون تكنية جابر بن حبة وابوعاصم للسويق وابو الابيض للبن وكما كثرت اسماء الاسد فقد كثرت كناه فيقال له عدا ابا الحارث ابو الابطال وابو الاخياس وابو شبل وابولبد وابو ليث وابوالعباس وابوالنحس وابورزاح وابوحفص وابوالوليد وابوالهيصم وابومحراب وابوالتامور وابوالحذر وابوسحطم وللخمر جملة كنى منها ابوخلعة وابوالخطاب وابوجهل وابورقاش وابواسود وابوالابرد

ولا ندخل الآن في الامهات والابناء والبنات والاخوة والاخوات والاذواء والذوات فانه يطول بذلك الشرح وانما نقول على وجه الاجمال ان اتساع هذا الباب في اللغة العربية هو من جملة الدلائل على ثروة اللغة وفخامتها وبلاغة عبارتها وان الكنى خصوصاً ما أُطلق على الجمادات والمجردات مما يدل على شدة تخيل الناطقين بها وانزالهم الصامت منزلة الناطق وتجسيمهم المجرد الى حد ان يتمثل ولا يخفى ان ابلغ البلاغة هو ما قوى لك الخيال ومثل لك صورة المعنى حتى كأنك تراها بالعين وتلمسها بالكف فالبليغ اذا اجزل خيل لك المعنى جسماً واذا اراد الرقة هلهل لديك المادة حتى حسبتها هباء او ظننتها وهماً وان اطلاق الكنى حتى في الجوامد والمعاني واجراءها مجرى ما به الحياة لما يجسم المعاني ويحرك الجوامد عند من كان يشعر بالبلاغة

بيروت

(ش)

سوء المنقلب

بغدادُ حسبك رقدة وثبات ... أوَ ما تمضّك هذه النكبات
وَلعت بك الاحداث حتى اصبحت ... ادواء خطبك ما لهن أُساة
قلب الزمان اليك ظهر مجنه ... أفكان عندك للزمان ترات
ومن العجائب ان يمسك ضرّه ... من حيث ينفع لو رعتك رُعاة
اذ من دبالة والفرات ودجلة ... أمست تحل باهلك الكرُبات
ان الحياة لفي ثلاثة انهر ... تجري وارضك حولهن موات
قد ضل اهلك رشدهم وهل اهتدى ... قوم اجاهلهم هم السرّوات
قوم اضاعوا مجدهم وتفرّقوا ... فتراهم جمعاً وهم اشتات
لقد استهانوا العيش حتى اهملوا ... سعياً مغبة تركه الاعنات
ياصابرين على الامور تسومهم ... خسفاً على حين الرجال أُباة
لا تهملوا الضرر اليسير فانه ... ان دام ضاقت دونه القلوات
فالنار تلهب من سقوط شرارة ... والماء تجمع سيله القطرات
لا تستنيموا للزمان توكلاً ... فالدهر نزاء له وثبات
فالى متى تستهلكون حياتكم ... فوضى وفيكم غفلة وأناة
تالله ان فعالكم بخلافه ... نزل الكتاب وجاءت الآيات
أفتزعمون بان ترك السعي في ... هذي الحياة توكلٌ وتقاة
ان صح نقلكم بذاك فهيئوا ... او قام عندكم الدليل فهاتوا
لم تلق عندكم الحياة كرامة ... في حالة فكأنكم اموات
شقيت بكم لما شقيتم ارضكم ... فلها بكم ولكم بها نكمرات
وجهلتم النهج السوي الى العلى ... فترادفت منكم بها العثرات
بالعلم تنتظم البلاد فانه ... لرقيّ كل مدينة مرقاة
ان البلاد اذا تخاذل اهلها ... كانت منافعها هي الآفات
تلك الرصافة والمياه تجنها ... والكرخ قد ماجت به الأزمات
سالت مياه الواديين جوارفاً ... فطفحن والاسداد مؤتكلات
فتهاجم الماآن من ضفتيهما ... فتناطحا وتوالت الهبات
حتى اذا اتصل الفرات بدجلة ... وتساوت الوَهدات والربوات

زحفت جيوش السيل حتى اصبحت ... بالكرخ نازلة لها ضوضاة
فسقت بيوت الكرخ شر مقيل ... منها فقامت اهلها الاويات
واستنقعت منها المياه فطحلبت ... بالمكث ترغو تحتها الحمآت
حتى استحال الكرخ مشهد ابؤس ... تبكي به الغيران والفتيات
طرقاته مسدودة وديارة ... مهدومة وعراصه قذرات
يا كرخ عزّ على المروءة انه ... لجج المياه عليك مزدحمات
فلئن امائتك السيول فانما ... امواجهن عليك ملتطمات
من مبلغ المنصور عن بغداده ... خبرًا تفيض لمثله العبرات
امست تناديه وتندب اربعًا ... طمست رسوم جماجها الحبوات
وتقول يالابي الخلائف لو ترى ... اركان مجدي وهي منهدمات
لغدوت تنكرني وتبرح قائلاً ... بتعجب ما هذه الخربات
اين البروج بنيتهن مشيدةً ... اين القصور علت بها الشرفات
اين الجنان بحيث تجري تحتها ... الانهار يانعة بها الثمرات
اترى ابو الامناء يعلم بعده ... بغداد كيف تروعها النكبات
لا دجلة يالرزية دجلة ... بعد الرشيد ولا الفرات فرات
كان الفرات يمدّ دجلة ماؤه ... بجداول تسقى بها الجنات
اذ بين دجلة والفرات مصانع ... تفترّ عن شنب بها السنوات
يانهر عيسى اين منك موارد ... عذبت واين رياضك الخضلات
ماذا دهى نهر الرُّفيل من البلى ... حيث المجاري منه مندرسات
اذ قصر عيسى كان عند مصبه ... وعليه منه اطلت الغرفات
ام اين بركة زُلزُل وزلاله ... والسلسال تسرح حوله الظبيات
يانهر طابق لا عدمتك منهلاً ... اين الصراة تحفها الروضات
ام اين كرخايا تمد مياهه ... نهر الدجاج فتكثر الغلات
ام اين نهر الملك حيث تسلسلت ... فيه المياه وهن مطردات
قد كان تزدرع الحبوب بارضه ... فتسح فيه بفيضها البركات
ام اين نهر بطاطيا تأتيه من ... نهر الدجيل مياهه الفراة
وله فروع اصلهن لشار ... ع الكبش المجاري منه منتهيات
تنمو الزروع بسقيه فغلاله ... كل العراق ببعضها يقتات

لهفي على نهر المعلى اذ غدت ... لا تبين جنانه النضرات
نهر هو الفردوس تدخل منه في ... قصر الخلافة شعبة وقناة
كالسيف منصلتاً تضاحك وجهه ... الانوار وهي عليه ملتمعات
اذ نهر بين عند كنواذى به ... مُلد الغصون تهزها النسمات
وبقربه من نهر بوق دارة ... تنفي الهموم مروجها الخضرات
يا قصر باب النهر كنت مقرّنا ... والنفي يصدر منك والاثبات
ايام تطلعك العدالة شمسها ... وترف فوقك للهدى رايات
ايام تبصرك الحضارة في العلى ... بدراً عليك من الثنا هالات
ايام تنشدك العلوم نشيدها ... فتعود منك على العلوم صلات
ايام تقصدك الافاضل بالرجا ... فتفيض منك لهم جدًا وهبات
ايام يأتيك الشعبيّ بامره ... فيروح عنك وما لديه شكاة
تمضي الشهور عليك وهي انيسة ... وتمرّ باسمةً بك الساعات
ماذا دهاك من الهوان فاصبحت ... آثار عزك وهي منطمسات
قد ضيعت بغداد سابق عزها ... وغدت تجيش بصدرها الحسرات
كم قد سقاها السيل من انهارها ... ضرًا وهن منافع وحياة
واليوم قلت بجانبيها ارتخوا ... دفق السيول فماجت الأزمات

بغداد — معروف الرصافي

اليونانه

آثينة

الشعب الآثيني

اتيكيا — فاخر الآثينيون لسكناهم ابدًا بلادًا واحدة وادعى اجدادهم انهم ولدوا من الرمل كالزيزان . وقد اجتاز الفاتحون من سكان الجبال بالقرب من بلادهم ولم يهاجموها وقلما دعتهم اتيكيا الى قتالها . هذه المقاطعة مؤلفة من جبال شاهقة صخرية ناتئة في البحر على شكل مثلث الاضلاع . وهذه الصخور المشهورة بقطع رخامها وبعسل نحلها جرادة مردادة بينها وبين البحر ثلاثة سهول صغيرة فاحلة لا تروي (لجفاف سواقيها في الصيف) ولا تقوم بتغذية امة كبيرة .

آثينة — على فرسخ من البحر في اعظم تلك السهول قامت صخرة عظيمة وحيدة منتصبة وقد أنشئت آثينة في سفحها . اما المدينة القديمة التي كانت تدعى الاكروبول (المدينة العالية) فانها كانت في قمة الجبل . وقد اخذ سكان اتيكيا يتفرقون الى ممالك عديدة فكانت كل قرية تحكم نفسها بنفسها ولها ملك يجمع جميعها تحت زعامته وهو ملك آثينة فيتألفون بذلك مدينة واحدة وليس معنى ذلك انهم كلهم يحطون رحالهم في المدينة . بل يظل كل منهم يسكن قريته ويزرع ارضه . بيد انهم كلهم عبدوا اربابًا واحدة وهي آثينة معبودة آثينة وخضعوا باجمعهم لملك واحد .

ثورات آثينة — قد رجعت آثينة فنزعت السلطة الملكية واستعاضت عنها بتسعة زعماء (اركون) يتبدلون كل عام . وانا لنجهل هذا التاريخ كل الجهل اذ لم يبلغنا عن ذاك الوقت اقل كتابة نستند اليها . ويروى ان الآثينيين عاشوا قرونًا في شقاق يضطهد اشراف اصحاب الاملاك (اوباتريد) العملة من اصحاب المياومات في اراضيهم ويبيع الدائنون مدينيهم بيع الارقاء . ولقد عهد الآثينيون حبًا بتوطيد الراحة الى صولون احد حكمائهم ان يسن لهم قوانين يسيرون عليها فقام بثلاث اصلاحات : اولاً تقليل قيمة السكة وهو مما سهل على المدينين ان يوفوا ما عليهم من اهون سبب . ثانيًا جعل الفلاحين ملاكًا للاراضي التي يزرعونها ومن ذاك الحين صار في اتيكيا كثير من صغار اصحاب الاملاك مما لم يعهد مثله في بلاد يونانية . ثالثًا قسم السكان عامة الى اربع طبقات بحسب مداخيلهم وقضى على كل منهم ان يؤدي الضرائب ويقوم بالخدمة العسكرية على نسبة ثروته . اما الفقراء فاعفاهم من الضرائب والخدمة . ولقد خضع الآثينيون بعد صولون الى بيزيستراس احد ابنائهم العالمين العارفين ثم بدأ الاضطراب سنة ٥١٠ .

اصلاح كليستين — استفاد كليستين احد زعماء الاحزاب من هذه الاضطرابات فقام بثورة عظيمة . ولقد سكن كثير من الغرباء في اتيكيا وكان معظمهم ملاحين وتجارًا يقطنون مدينة بيرا بالقرب من المرفإ . فاعطاهم كليستين حقوق الوطنيين وساواهم بالسكان الاقدمين فصار من ثم في تلك المقاطعة شعبان مختلفان سكان اتيكيا وسكان بيرا وكانا يتميزان احدهما عن الآخر بعد ثلاثة قرون من هذا الاختلاط باختلاف سحناتهم فيشبه اهل اتيكيا سائر اليونانيين ويشبه اهل بيرا الآسياويين . وهكذا زاد الشعب الآثيني فاصبح امة جديدة ومن اكثر سكان بلاد اليونان حركة ونشاطًا حتى اذا كان القرن الخامس تألفت الهيئة الاجتماعية في آثينة تأليفها الاخير فكان ثلاث طبقات من السكان يقطنون اتيكيا الاوهم الموالي والاجانب والوطنيون .

الموالي — الموالي هم السواد الاعظم من اهل البلاد فلم يكن ثمت رجل مهما بلغ من الثروة المدقع الا و يملك مولى اما الاغنياء فيملكون منهم كتيبة وملك بعضهم نحو مائة مولى وكان من شأن هؤلاء الموالي ان يبقوا في الدور وشغلهم الطحن والعجن وحياكة الثياب ونسجها وطبخ الطعام وخدمة ساداتهم . ويعمل بعضهم في المعامل حدادين وصباغين او يشتغلون في المقالع والمناجم الفضية . ويقوم سيدهم باودهم ولكنه يبيع لنفسه كل ما تنتجه ايديهم ويأتي ثمرة اعمالهم ولا يعطيهم من جميع ذلك الا الطعام . فكان عامة الخدمة والعاملين في المناجم ومعظم الصناع عبيداً وارقاء . يعيشون في المجتمع دون ان يعدوا منه بل لا يتصرفون بانفسهم وهم ملك مواليهم جسماً ومادة . ولم يعتبروا الا اعتبار عروض تملك وربما دعوهم « اجساداً » وليس لهم من شريعة غير ارادة سيدهم . ولسيدهم عليهم كل حق وسيطرة فان شاء شغلهم وان شاء حبسهم وان شاء حرمهم من طعامهم وان شاء ضربهم واذا نشأت لاحد الوطنيين قضية يتأتى لخصمه ان يطلب تعذيب مواليه ليقروا بما يعلمون . وقد امتدح عدة خطباء آثينيين هذه العادة وعدوها ضرباً من ضروب الحذق لاخذ شهادة صحيحة . قال الخطيب ايزيه ان التعذيب احسن واسطة لنيل البراهين ولذلك متى كان عليك ان توضح مسألة منازعاً فيها فاياك ان تعمد الى الاصرار بل انك تصل الى كشف القناع عن محيا الحقيقة بجعل العبدان في العذاب الشديد .

الاجانب — هم ناس من اصول مختلفة يقيمون في اتيكيا وهم الذين يدعون الميتيكيين (اي المتساكنين) . ولم يكف الرجل كما هو الحال عندنا ان يولد في ارض آثينية ليعد وطنياً بل يجب ان يكون ابن وطني . وعبثاً استوطن الطراء في اتيكيا اجيالاً كثيرة وماعدت قط اسراتهم آثينية . فالميتيكيون والحالة هذه لم يكن لهم ان يشتركوا في الحكومة ولا ان يتزوجوا وطنية ولا ان يقتنوا ملكاً على حين كانوا احراراً في اشخاصهم ولهم حق السفر في البحر وان يكونوا صيارف وتجاراً على شرط ان يتخذوا لهم زعيماً ومولى يمثلهم امام القضاء . وكان في آثينة زهاء عشرة آلاف أسرة من الميتيكيين ومعظمهم صيارف وتجار

الوطنيون — اقتضت الحال ان يكون الانسان ابن وطني او وطنية ليكون وطنياً آثينياً ومتى بلغ الفتى الثامنة عشرة من عمره يعد عندهم راشداً فيقف امام مجموع الشعب ويدفع اليه السلاح الذي يقضي عليه حمله ويقسم يميناً فيقول : أقسم انني لا أهين هذا السلاح المقدس ولا أغادر موقفي في صفوف الاعداء وان اخضع للحكام والقوانين وأشرف دين وطني . فيكون بهذا الحلف وطنياً وجندياً معاً ويقضي عليه بعدُ ان يخدم في الجندية الى سن الستين وله لقاء ذلك حق الجلوس في مجلس الامة والقيام بوظائف الحكومة وربما رضي

الشعب الآثيني بجعل رجل وطنياً على حين ليس هو ابن وطني ولكنه يرضى بذلك على صفة استثنائية وتوسعاً في الكرمة العظيمة . فيوافق المجلس على قبول الغريب وينبغي ان ينتخبه على الاقل ستة آلاف وطني بعد تسعة ايام من هذا الاقتراع وفي جلسة ثانية وذلك في انتخاب سري . والشعب الآثيني هو كدائرة مطبقة لا يدخل فيه اعضاء جدد الا اذا رضي الاعضاء القدماء بقبوله على انهم لا يقبلون غير ابنائهم .

المجلس — يلقب الآثينيون حكومتهم بالحكومة الديمقراطية (اي حكومة الشعب) وليس هذا الشعب ما نعني به عندنا من جمهور السكان بل هو جماعة الوطنيين وخلصاء الاشراف وعددهم بين خمسة عشر الفاً الى عشرين الف رجل وهم زعماء الامة بأسرها . ولهؤلاء الجماعة سلطة مطلقة وكلمة عليا وهم على التحقيق ملوك آثينة فان مجلسهم يلتئم ثلاث مرات في الشهر للمفاوضة والاقتراع . يجتمعون في الهواء الطلق في ساحة البينكس فيجلس الوطنيون على مقاعد من حجر ذات درجات ويقعد الحكام بازائهم على مصطبة ويفتتحون الجلسة باحتفال ديني وصلاة يصلونها ثم يعلن المنادي بصوت جهوري بالمسألة التي يتناقش فيها المجلس قائلاً من منكم يشرع في الكلام اولاً . ولكل وطني الحق ان يطلب ذلك . وعندها يصعد الخطباء المنبر بحسب تفاوت اعمارهم ومتى تكلموا كافة يضع الرئيس المسألة المطلوبة على بساط البحث فيقترع المجلس بان يرفع اعضاؤه ايديهم ثم ينصرفون .

المحاكم — لما كان الشعب حاكماً فهو يقضي في القضايا لذاته بذاته ولكل وطني بلغ الثلاثين من عمره ان يكون من اعضاء مجلس الحكم فيجتمع الحكام في القاعات الكبرى فرقاً كل فرقة مؤلفة من خمسمائة نسمة . وفي كثير من القضايا يلتئم فرقان او ثلاث فرق من الحكام فتتألف المحكمة من جمهور يبلغون ألفاً واثنا ألفاً وخمسمائة قاضٍ ولم يكن للآثينيين حكام كما هو الحال عندنا لرفع القضايا بل كانت هذه المهمة من وظيفة الوطني الذي يعهد اليه تجريم المجرمين . فيتمثل المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ويخطب كل منهما خطبة تزيد على وقت محدد بساعة دقاقة مائية . ثم يبدأ القضاة بالموافقة على وضع حصاة بيضاء او سوداء فاذا توفر للمدعي بضعة آراء (اصوات) زيادة على خصمه يحكم عليه ويجرم .

الحكام — كان الشعب الحاكم في حاجة الى مجلس لوضع المسائل موضعها من البحث والى حكام ينفذون ما يقرره ويتألف المجلس من خمسمائة وطني تعيينهم القرعة حولاً كاملاً . واذ كثر عدد الحكام خص عشرة منهم لتعبئة الجيش وقيادته وثلاثون لادارة الشؤون المالية وستون منهم يعهد اليهم خطة الحسبة من النظر في الشوارع ونظافتها والاسواق وبياعاتها والاوزان والمقياسات وما يتبعها .

منعة هذه الحكومة — لم تكن السلطة في آثينة في ايدي الاغنياء والشرفاء كما كانت في اسبارطة بل كانت تقرر كل مسألة باكثرية الآراء وتتعادل الآراء فيجري انتخاب الحكام واعضاء المجلس والعمال بالقرعة . الا القواد فانهم لا ينتخبون كذلك . والوطنيون يتساوون لا من حيث الامور النظرية بل من حيث الامور العملية . ولقد قال الحكيم سقراط لاحد اهالي آثينة المنورين وكان لا يجرأ على الكلام امام الشعب « ياهذا ممن تخاف ؟ امن القصارين ام من السكافين او المعمارين او الحراثين ام من السوقة والموزنين فمن هاته الطبقات يتألف المجلس » وكثيرون من هؤلاء الحكام مضطرون الى الاحتراف ليعيشوا ولم يكن في وسعهم ان يخدموا الحكومة بالمجان ولذلك عينت لهم مشاهرات واجوراً فيتناول كل وطني اجرة جلسة واحدة في المجلس او المحكمة ثلاثة فلوس او خمسة واربعين سانتيماً من سكتنا وهو القدر الذي يتأتى لرجل ان يعيش به في ذاك العصر . من اجل هذا كثر الاعضاء الفقراء في هذه المجالس وجلسوا على دكات المحاكم مع الاغنياء كتفاً الى كتف ووجهاً لوجه .

الفوضويون من الشعب — لما كانت تفصل المسائل برمتها في المجلس او المحاكم بالمناقشة فيها والقاء الخطب في مضامينها كان فصحاء القوم هم ارباب المكانة المكينة في الامة . فاعتادت هذه ان تسمع لاصوات الخطباء وان تعمل بنصائحهم وتعهد اليهم في السفارات وان تعينهم قواداً وزعماء . ويدعى هؤلاء الرجال الفوضويين « اوزعماء العصاة » . اما حزب الاغنياء فيضحك منهم . وقد مثل اريستوفان الشعب في احدى الروايات الهزلية في صورة شيخ سخيف فقال : انت غبي تصدق كل ما تسمع تستسلم لاهل النفاق والدسائس يتلاعبون بك على هواهم وتغتبط بالسعادة متى خطبوا فيك . وقال احدهم خطاباً لاحد نزاع الآفاق : انت ياهذا شقي فظ غليظ وصوتك شديد وفي بلاغتك من القحه وفي حركاتك من السرعة ما يؤهلك على ما ارى الى كل ما يلزمك لحكم آثينة .

الحياة المنزلية

اخترع الآثينيون وظائف كثيرة عهد القيام بها الى فئة من الوطنيين . فكان الوطني الآثيني كالموظف والجندي في ايامنا مهتماً بالانصراف الى الاعمال العامة يصرف ايام حياته في اشهار الحرب والحكم على الشعب يقضي ايامه في المجلس او في المحكمة او في الجيش وفي محال الرياضة او في السوق وكان له ابداً امرأة واولاد لان الدين يأمره بذلك ولكنه ما كان يعيش عيش البيوت .

الاولاد — يحق للوالد عند ما يولد له مولود ان يطرحه ويطرده خارج بيته فيموت

طريحاً اذا لم يلتقطه احد ابناء السبيل ويربيه ليجعله مولى له . وانت ترى ان آثينة اثبتت في هذا خطة جماع الشعوب اليونانية . والبنات كن يُنبذن في العراء ويُطرحن خارج المنازل اكثر من البنين قال احد الخطباء المُزليين ان الابن يُربى في الغالب ولو كان ذووه في اقصى دركات الفاقة اما الابنة فتهمل ولو كان اهلها من الغنى على جانب . فان قبل الوالد الولد يعد من الأُسرة ويترك اولاً في مساكن النساء بالقرب من الام حيث يظل البنات الى ان يتزوجن اما البنون فينفصلون عن تلك البيوت في السابعة من عمرهم فيسلم الطفل الآثيني الى المربي الذي يعهد اليه تعليمه وتحسين هيئته والخضوع والطاعة وكثيراً ما يكون المعلم من طبقة الموالي الا ان والد الطفل جعله في حل من ضرب ابنه . وهذه كانت عادة عامة في القديم . ثم يذهب الولد الى الكتاب يتعلم القراءة والكتابة والحساب وانشاد الاشعار والتغني مع جماعة الموسيقيين على نغمات المزمار ثم يأخذ في تعلم الالعاب الرياضية وهذه غاية ما يتعلمه الولد فيجيء من هذا التعليم من ابناء الآثينيين رجال صحيحة اجسامهم هادئة افكارهم يدعوهم اليونانيون اهل الصلاح والجمال . اما الفتاة فتظل بالقرب من امها لا تتعلم شيئاً . ويذهبون الى انه يكفي الابنة الآثينية ان تحسن الخضوع وتتشبث باهداب الطاعة . وقد مثل كسينوفان احد اغنياء الآثينيين المهذبين وهو يخاطب الحكيم سقراطاً في شأن زوجه قال : لم تكد تبلغ الخامسة عشرة حتى تزوجتها وقد كان ذووها جعلوها الى ذاك العهد تحت المراقبة الشديدة وارادوا ان لا تبقى وتعيش ولا تسمع شيئاً على التقريب مما اهلها لان تكون امرأة تحسن نسج الصوف وتصنع منها ثياباً ورأت باي الطرق يستخدم الاماء والخادمات . ولما اقترح عليها زوجها ان تكون شريكة في حياته اجابته مدهوشة : على اي امر أعينك وهل انا قادرة على شيء ؟ فلطالما قالت لي أُمي ان شأني الخاص بي ان اكون عاقلة . فمعنى كون المرأة عاقلة ان تخضع وهذه هي الفضيلة التي تطلب الى المرأة اليونانية .

الزواج — تتزوج الفتاة في الخامسة عشرة من سنها واهلها يختارون لها زوجها فيكون تارة شاباً من أُسرة قريبة او رجلاً طاعناً في السن من اصدقاء والدها ولا يعدو ابداً ان يكون وطنياً آثينياً وقد تعرفه الفتاة من قبل في بعض الاحوال وما قط أُخذ رأيها في معنى زواجها . ولما تكلم المؤرخ هيرودتس عن احد ابناء يونان قال : ان كالياس هذا جدير بان يتكلم المتكلمون في امره للخطة التي يسلكها مع بناته فانهن متى صلحن للزواج يخلبن من المال شيئاً كثيراً ويسمح لهن باختيار ازواج لهن من ابناء الامة ويزوجهن بمن ينتخبنهم

النساء — كان في داخل كل بيت آثيني مسكن منعزل خاص بالنساء يدعى الحرم

ولا يختلف الى هذا المسكن غير الزوج والانسباء وتبقى فيه ربة البيت دائماً مع صويحباتها واماثها تراقب اعمالهن وتلقنهن اصول تدبير المنازل وتوزع بينهن الصوف ليحكنه وهي تشغل نفسها بحياكة الثياب ايضاً . وقلما كانت تخرج من دارها الا في الاعياد الدينية ولا تظهر في مجتمعات الرجال قط . قال الخطيب ازيس : حقاً انه لم يكن لاحد ان يجرأ على الغداء عند امرأة متزوجة فان النساء المتزوجات لا يخرجن لتناول الطعام مع الرجال ولا يسمحن لانفسهن ان يأكلن مع الغرباء وغير المحارم . وما كانت المرأة التي تخالط الرجال معدودة في جملة النساء المحتشمات المهذبات . وهكذا لم تكن المرأة وهي على حالها من الاعتزال والجهل ذات عشرة مقبولة فيتزوج بها الرجل لا لتكون شريكة حياته بل لتقوم بأمر بيته وتلد له اولاداً ولان العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بان يكون للمرء حليلة . وقال افلاطون اذا تزوج المتزوج فليس برضاه وذوقه السليم بل لان الشريعة تقضي عليه بذلك . وقال ميانذر الشاعر الهزلي هذه العبارة : اذا شئت التحقيق فقل ان الزواج شر ولكنه شر لا مناص منه . ولذا كان ابداً للنساء في آثينة كما في معظم المدن اليونانية مقام وضيع في المجتمع .

الحروب المادية

سببها — بينما كان اليونان آخذين في تنظيم مدنهم كان ملك الفرس يجمع شتات بلاد الشرق كافة تحت لواء واحد . ولقد تقابل اليونان والمشارقة وكان المصاف بينهم لاول الامر في آسيا الصغرى . وكان على شاطيء آسيا مستعمرات يونانية غنية مأهولة فطمع فورش ملك فارس في ضمها الى بلاده فبعث تلك المستعمرات تستنجد بالاسبارطيين وقد اشتهروا بانهم اجرأ ابناء اليونان وانذروا بذلك فورش فاجابهم بقوله : انني ما خشيت قط هذا الضرب من الناس الذين يجتمعون في ساحة وسط مدنهم ليخدع بعضهم بعضاً بالايمان والعهود (كلامه على ساحة السوق) فغلب ابناء اليونان في آسيا واصبحوا رعايا ذلك الخاقان الاعظم . وبعد ثلاثين سنة تقابل الملك دارا مع يونان اوروبا ولكنهم ظهروا عليه هذه المرة فارسل الآثينيون عشرين سفينة على الايونيين العصاة فدخل جندهم سفي ليديا واستولوا عنوة على مدينة ساردس عاصمة ليديا واحرقوها . فانتقم دارا عن ذلك بان خرب المدن اليونانية في آسيا ولم يبق على يونان اوروبا . وقيل انه امر ان يمثل لديه ضابط في كل مأدبة يكرر على مسامعه قوله : مولاي تذكر الآثينيين . وقد بعث الى المدن اليونانية يطلب تراباً وماء . وهذه الاشارة الشائعة عند الفرس كانت دلالة على ان شعباً يخضع بلاده لسلطة الخاقان الاعظم فاوجس معظم اليونانيين خيفة واستسلموا خاضعين

باخبين فطرح الاسبارطيون المندوبين من الفرس في بئر قائلين لهم ان يأخذوا منها ماء وتراباً يحملونها الى ملكهم . وهذه كانت فاتحة الحروب المادية .

مبادلة الخصمين — ان التباين بين هذين العالمين المتحاربين قد اشار اليه هيروذتس احسن اشارة في صورة محاورة بين كسيركيس ملك الملوك وديماريات احد المنفيين من الاسبارطيين فقال هذا : اتجاسر ان أؤكد لك ان الاسبارطيين يعلنون عليك حرباً حتى ولو انحاز سائر ابناء يونان كافة الى حزبك ولولم يبلغ جيشهم الف رجل . فاجاب كسيركيس ضاحكاً وليت شعري هل في وسع الف رجل ان يشهروا حرباً على هذا الجيش الكثير العدد والعدد واني لاخشى ان يكون في كلامك تحذلق كثير . وهب ان عددهم خمسة آلاف فنحن زهاء الف لقاء واحد . فلو كان لهم زعيم مثلنا فان الخوف يحمسهم ويزيد نفوسهم مضاء فيزحفون بضرب السياط على جيوش اكثر منهم حصاً وعدداً . واذ انهم احرار لا علاقة لهم باحد فليس لهم من الشجاعة اكثر مما خصتهم به الفطرة . يقول ديماريات ان ليس الاسبارطيون دون غيرهم في حرب يتلاقى فيه المتحاربون جسداً لجسد حتى اذا انضموا بعضهم الى بعض صاروا جيشاً برأسه ومن اشجع الناس وامضاهم . وقصارى القول فانهم وان كانوا احراراً في الظاهر ليسوا كذلك في سائر شؤونهم فلهم حاكم مطلق ألا وهو « القانون » فهم يخافونه كثيراً ويرهبون بأسه اكثر من رهبة رعايانا لك . يطيعونه والقانون يأمرهم ان يثبتوا في مصافهم ابداً الى ان يغلبوا او يموتوا — اليك حال هذين الحزبين احدهما مع الآخر فترى من جهة عدداً عديداً من الرعايا تضمهم القوة بزعامة رئيس ذي هوى وشهوات . ومن جهة ثانية جمهوريات صغرى محاربة يحكم ابناؤها انفسهم بانفسهم بقوانين يحتفظون بها ويرعونها .

الحرب المادية الاولى — نشبت حربان ماديتان كانت الاولى بمثابة حملة على آثينة فارسل داراوس ستمائة سفينة نزلت جيشاً فارسياً في سهل ماراثون الصغير على سبع ساعات من آثينة . ولقد كان دين الاسبارطيين يحظر عليهم ان يسيروا قبل ان يكون الهلال بدراً وكان القمر اذ ذاك في الربع الاول فقضي على الآثينيين ان يحاربوا وحدهم فجاء عشرة آلاف من الوطنيين مسلحين سلاح الابطال واقاموا لهم معسكراً امام صفوف الفرس بقيادة عشرة قواد يتناوبها كل منهم يوماً حتى اذا كانت نوبة القيادة للتيادس عبى جيشه للحرب فهاجم الآثينيون صفوف الاعداء على صفوف مشتبكة فلما رآهم الفرس اقتربوا منهم ولم يجعلوا في مقدمتهم فرساناً ولا رماة فظنوهم جنوناً واضاعوا رشدهم . وهذه هي المرة الاولى التي جسر فيها اليونان على اقتحام صفوف الفرس في حرب منظمة . فطفق الآثينيون يحملون على

جناحي الجيش ويزفونه تل ممزق ثم رجعوا الى التلب وحملوا الفرس على الهزيمة نحو البحر واضطروهم الى معاودة ركوب البحر وكان من نصرة اليونان في حرب ماراثون ان انقذتهم واطارت صيتهم في ارض يونان كلها (٤٩٠)

حرب مادي الثانية — نشبت الحرب بعد عشر سنين بغارة فجمع كسيركيس بن دارا شعوب بلاده كلهم ويقال ان جيشه البري بلغ مليوناً وسبعمائة الف مقاتل مؤلفاً من مادين وفرس لابسين قمصاناً ذات اكمام مسلحين بدروع من حديد واتراس واقواس وسهام ومن اشوريين يلبسون دروعاً من كتان مسلحين بدبابيس محددة الرؤوس ومن هنود يلبسون ثياباً قطنية يحملون اقواساً ونبالاً من خيزران ومن زنوج يلبسون جلد النمور ومن قبائل رحالة ليس لهم سلاح الا ما كان من حبل ذي أنشوطة ومن فريجيين مسلحين بحراب قصيرة واتراس صغيرة ومن ليديين مجهزين على الطريقة اليونانية ومن تراكسيين يحملون حراباً ومدى وقد شغل تعداد صفات هذا الجيش عشرين فصلاً في تاريخ هيرودتس . وكان هؤلاء المحاربون يجرون وراءهم جموعاً توازي الجموع المدربة على القتال من خدمة للجيش وموالي من النساء وكثير من البغال والخيل والجمال والعجلات المشحونة بالاثقال ولقد اجتاز هؤلاء الاخلاط هيلسبون على جسر قام من مراكب في ربيع سنة ٤٨١ وظلوا يتابعون سيرهم سبعة ايام بلياليها تحت ضرب السياط ثم اجتازوا تراكيا وساروا على بلاد يونان يجرون بالقوة وراءهم من يضادفونه من الشعوب فكان الاسطول الفارسي وهو مؤلف من الف ومائتي سفينة حربية يمشي على شواطيء تراكيا مجتازاً ترعة جبل اتوس الذي خرقه كسيركيس عمداً . فدخل الرعب في قلوب اليونانيين وخضع معظمهم لحاقان الفرس فضموا جندهم الى الجيش الفارسي . وراح الآثينيون يستشيرون هاتف دلفيس فاجابهم اولاً ان آثينة تخرب ويكون عاليها سافلها حتى اذا تضرعوا اليه ان يجيبهم بجواب يبعث على الطمأنينة رد عليهم بقوله : ان زيوس يمنح بالاس (حامية آثينة) جداراً من خشب لا يتأتى الاستيلاء عليه وحده وانكم لتجدون فيه سلامتكم انتم وبنوكم . ولقد حث العرافون الذين طلبوا اليهم ان يفسروا كلام هذا الهاتف جماعة الآثينيين على مغادرة اتيكيا وان يذهبوا ليستوطنوا مكاناً آخر . وفسر تمستوكلس جدار الخشب بالمراكب . فقضت الحال اذاً ان يرجعوا على الاسطول ويحاربوا الفرس في البحر .

واذ قد عزم اهل آثينة واسبارطة على المقاومة اخذوا يبحثون في تأليف عصابة من اليونان لتحكم على الفرس فاجترأت بعض المدن على الدخول في هذه العصبة وانضموا تحت قيادة اسبارطة ولما نشبت اربع حروب في عام واحد قرروا القتال فسحق الفرس ليونيداس

ملك اسبارطة في الترمويل وكان معسكرًا لسد فم احد المضايق وضرب الاسطول اليوناني الاسطول الفارسي في سلامينة وكان هذا مجتمعاً في خليج يزحم بعضه بعضاً (٤٨٠) وبدد ابطال اليونان في بلاتيه الجيش الفارسي الذي بقي في بلاد اليونان ولم ينج من ثلثمائة الف رجل سوى اربعين الفاً ونزل في ذاك اليوم جيش يوناني في ميكال على شاطئ آسيا وهزم الفرس (٤٧٩) وهكذا غلب اليونان الخاقان الاعظم صاحب فارس .

تحف منسية

كتاب الاشربة — لابن قتيبة

عني بنشره المسيو ارتوركي

احد علماء المشرقيات

وحدثني محمد بن داود عن نصير عن سنان عن جعفر قال : سمعت مالك بن دينار وسئل عن النبيذ فقال : انظر ثمن التمر من اين هو . اراد مالك انه يجب على المستفتي عن النبيذ حلال هو ام حرام ان يتنزه عما لا اختلاف فيه من اكتساب الحرام الذي هو ثمن التمر ثم يسأل بعد ذلك عن النبيذ المختلف فيه . قالوا : فلو كان عند خمر ما توقف هذا التوقف(١) . وقد يحتمل ان يكون اراد : إن كان ثمن التمر حلالاً كان النبيذ الذي اتخذ منه حلالاً وان كان ثمن التمر حراماً كان النبيذ الذي اتخذ منه حراماً . فان كان ذهب هذا المذهب فالخبز واللباس والادام على هذا (٢) السبيل عنده تحل ان طابت المكسبة وتحرم ان خبثت . وعوتب شعيب (٣) بن يزيد في النبيذ فقال : اما انا فلا ادعه حتى يكون شر عملي . يريد انه قد يأتي ما هو اشر من شربه وان الواجب على من اراد اصلاح نفسه والانتقال الى طهارة التوبة ان يبدأ بالاخبث فالاخبث من عمله والاعظم فالاعظم من ذنوبه فينزع عنه فاما ان يدع التزوج بالاماء لما كره منه وهو يزني او يترك الشرب في آنية الذهب لما نهي عنه من ذلك وهو يشرب الخمر في الغلس فهذا من السخف وافراط الجهل وقال ابو الغالية الرياحي اشرب النبيذ ولا تمزز واتمزز ان يشرب قليلاً قليلاً وهو مثل التمزز . واراد ابو الغالية ان يشربه دفعة واحدة للري ولا يناقل الاقداح ويتابعها ليسكر وقيل لمحمد بن واسع : اتشرب النبيذ ؟ قال نعم . قيل : وكيف تشربه ؟ قال على غداي

(١) في الاصل توقيف (٢) في الاصل هذه (٣) في العقد سعيد بن زيد

وعشاي وعند ظاهري . قيل فما تركت منه ؟ قال التكاءة ومحادثة الرجال . (١) قال المأمون اشرب النبيذ ما استبشعته فاذا سهل فاتركه . فاراد انه يسهل على شاربه اذا اخذ في الاسكار . وقيل لسعيد بن سالم (٢) : اتشرب النبيذ ؟ قال لا . وقيل لم ؟ قال تركت كثيره لله وقليله للناس . حدثني محمد بن عبيد عن ابراهيم بن ابي بكر بن عياش . قال : صام عمي الحسن بن عياش خمسين حولاً متتابعة فكان لا يفطر في السنة الا خمسة ايام كان ابي يصنع ايام التشريق طعاماً بكثرة وتجودة ويدعو الفقهاء ومشائخنا فيتغدون مع ابي ويسقيهم او قال من اراد منهم النبيذ الصلب ؟ وكان سفيان الثوري يشرب النبيذ الصلب الذي تحمر منه وجناه واحتجوا من (جهة) (٣) النظر بان الاشياء كلها حلال الا ما حرمه الله . قالوا فلا تزيل يقين الحلال بالاختلاف ولو كان المحللون فرقة من الناس فكيف وهم اكثر الفرق ؟ واهل الكوفة جميعاً على التحليل لا يختلفون . حدثني اسحق بن راهويه قال سمعت وكيعاً يقول : النبيذ احل من الماء ولم يكن احد من الكوفيين يحرمه غير ابن ادريس وكان بذلك عندنا معيباً وقيل لابن ادريس : من خيار اهل الكوفة ؟ فقال هؤلاء الذين يشربون النبيذ . قيل : وكيف ذلك وهم يشربون من يحرم عندك ؟ فقال : ذلك مبلغهم من العلم . وقال لنا اسحق : عيب وكيع بقوله : هو احل من الماء لانه ان كان حلالاً فهو بمنزلة الماء فكيف جعله احل منه ؟ ونحن نقول انه ليس يلحق وكيعاً في هذا الموضوع عيب ولا يرجع عليه منه عتب لان كلمته خرجت مخرج كلام العرب في مبالغتهم في الوصف واستقصائهم بالمدح والذم يقولون هو اشهر من الصبح واسرع من البرق وابعد من النجم . وليس ذلك بكذب لان السامع له يعرف مذهب القائل فيه وكلهم متواطئون عليه كذلك قوله هو احل من الماء يريد المبالغة في وصفه بالتحليل . وانما عاب اهل الكوفة ابن ادريس بمخالفته اهل بلده وتغليظه ما ترخصوا فيه . وحدثني محمد بن عبدالله عن ابراهيم ابن ابي بكر بن عياش قال : قلت لابن المبارك : من اين جئت بهذا القول في كراهتك النبيذ ومخالفتك المشائخ واهل المصر ؟ فقال : هوشي اخترته لنفسي . قلت : فتعيب من شربه ؟ قال لا . قلت (انت ا (٤) وما اخترت لنفسك ! وقال عاصم بن ابي النجو : لقد ادركت قوماً يجعلون هذا الليل جملاً يشربون النبيذ ويلبسون المعصفر فهؤلاء اهل الكوفة واكثر اهل البصرة على مثل مذهبهم . وكان عبدالله بن داود يقول : ما هو عندي وماء البركة (٥) الا سواء . وقال القطعي : قال لي عبدالله بن داود : لا بأس ان يشربه الرجل على اثر

(١) في العقد الاخوان (٢) في العقد ابن اسلم (٣) عن العقد (٤) عن العقد (٥) في العقد ماء الفرات

الطعام كما يشرب الماء . وقال : اكره ادارة القدح واكره نقيع الزبيب واكره المختق واكره نبيذ السقاية . وقال : من ادار القدح لم تجز شهادته . قالوا : وكان كثيراً من الحجاز يبن يترخص فيه حتى غلط فيه مالك وحدّ في الرائحة والرائحة قد تلتبس وتشتبه بغيرها وكيف يخرق ظهور المسلمين على الظهور وظهر المسلم حمىً لا يباح الاّ بيقين وقد يأكل الرجل الكمثرى والتفاح والسفرجل ويشرب المشبه (١) النبيذ فيوجد منه رائحة النبيذ وكان الاقيشر (٢) أخذ وقد شرب وأستنكه فوجدوا منه رائحة نبيذ ظاهرة فقال (طويل)

يقولون لي انكه قد شربت مدامة فقلت لهم لا بل اكلت سفرجلا

وقالوا : وجدنا الناس ثلاثة اصناف اصحاب الرأي وهم جميعاً مجمعون على تحليله ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وكل من سلك سبيلهم واصحاب الحديث واكثرهم على التحليل . واصحاب الكلام وهم ايضاً على ذلك وكيف نزيل يقين التحليل بطائفة من الناس ؟ قالوا : ومثل النبيذ مثل نهر طالوت : حدّثني شبابة (٣) قال : حدّثنا غسان بن ابي الصلاح (٤) الكوفي عن ابي سلمة يحيى بن دينار عن ابي المطهر الوراق قال : بينما زيد بن علي على بغلة له (٥) بصر برجل من اصحابه محجل (٦) الازار على قميصه ردع من زعفران فقال له مَهيم (٧) فقال له يا ابن رسول الله اني اعرست وقد احببت ان تكرمني بدخول منزلي . فثنى رجله ونزل فاخذ صاحب المنزل بيده فأدخله منزله واقعده على الحجلة ثم استكبر ذلك واتى بطعام . وبلغ الشيعة مكانه فازدحموا على مائدته فطعم وطعم القوم ثم انه عطش واستسقى فأتى بعس فيه نبيذ فكرع فيه ثم قطب ثم دعا بماء فكسره ثم شرب وناولني وكنت عن يمينه فشربت وناولت الذي عن يميني ودار العس على القوم جميعاً فقلت له : يا ابن رسول الله حدثنا بحديث سمعته من آبائك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبيذ قال : حدّثني ابي عن جدّي عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : تنزل امتي منازل بني اسرائيل حَذْوَ القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو ان رجلاً من بني اسرائيل نكحت نساؤها في الاسواق لكان في امتي من يفعل ذلك . الا وان الله ابتلى بني اسرائيل بنهر طالوت احل منه الغرفة وحرّم منه الري الا وان الله جعل فيكم النبيذ احلّ منه الري وحرم منه السكر . وقالوا :

---

(١) لا نقط في الاصل على الشين ولا تحت الباء (٢) هو المغيرة بن الاسود بن وهب احد بني اسد بن خزيمة بن مدركة وهو من اتراب الفرزدق (٣) في العقد شبابة (٤) في العقد مباح (٥) زاد في العقد في بعض ازقة الكوفة (٦) كذا في الاصل (٧) قال ابو عبيدة مهيم كلمة يمانية معناه ما امرك وما الذي ارى بك ونحو هذا من الكلام . الجوهري مهيم كلمة يستفهم بها معناها ما حالك وما شأنك (لسان العرب)

لم يحرم الله شيئًا الا وقد جعل منه عوضًا في مثل معناه فلو كان النبيذ خمرًا ما كان العوض من الخمر وانما خلق الله الاقوات والثمرات قدرًا لحاجة الناس اليها فلو كان النبيذ خمرًا ما كان يصنع بالتمر والزبيب والدوشاب (١) واشباه ذلك مما لو ترك الناس اتخاذ الشراب منه لبار وفضل اكثره من مآكل الناس وحاجتهم وقالوا: والله لا يحرم شيئًا الا لعلة الاستعباد ولو كان تحريم الخمر للسكر لم يطلقها الله تعالى للانبياء والامم فقد شربها نوح عليه السلام حين خرج من السفينة واغترس الحبلة (٢) حتى سكر منها وبدت نخذه وشربها لوط وشربها عيسى عليه السلام ليلة رُفع وشربها المسلمون في صدر الاسلام. وقالوا: واما قولهم ان الخمر ما خمر والمسكر مخمر فهو خمر مثله فان الاشياء قد تتشاكل في بعض المعاني فيسمى بعضها بعلة فيه وهي في آخر ولا يطلق ذلك الاسم على الآخر الا ترى ان اللبن يخمر بروبة تلقى فيه ويترك حتى يروب ولا يسمى اللبن خمرًا وان خمير العجين يسمى خميرًا ولا يسمى هو ولا ما خمر به من العجين خمرًا (٣) وان نقيع التمر (يسمى) سكرًا لاسكاره (٤) ولا يسمى غيره سكرًا وان كان يسكر وهذا اكثر في كلام العرب من ان نحيط به. وقالوا: واما قولهم للرجل مخمور وبه خمار اذا اصابه الصداع والارعاش عقب الشراب فان ذلك قد يقال لمن اصابه مثله في النبيذ فيقال: به خمار ولا يقال: به نباذ فان الخمر اسم قديم وكانت الجاهلية تعرفه وتلفظ به من الخمر والنبيذ محدث اسلامي لم تكن العرب في الجاهلية تعرفه وكان شَرَبَة النبيذ من السلف لا يبلغون السكر ولا يقاربونه فيصيبهم عليه ما كان يصيب شربة الخمر من الخمار وانما كانوا ينالون منه اليسير على الغداء والعشاء ثم خلف من بعدهم خلف يشربون الخمر ولم يتهيبوا من المسكر فقيل: بهم خمار على ما سبق من الاسم المتقدم ولو كان الله حين احلّ النبيذ احلّ منه السكر الذي يكون منه الخمار وكان شَرَبَةُ النبيذ من الصحابة والتابعين سكروا فاصابهم ذلك للزمنا ان يقال به نباذ او لا يقال فيجب ماذهبوا اليه. وقد فرقت الشعراء بين النبيذ والخمر. قال الاقيشر وكان مغرمًا بالشراب (طويل)

وصهباء جرجانية لم يطف بها ... حنيف ولم تنعر (٥) بها ساعة قدرُ
اتاني بها يحيي وقد نمت نومة ... وقد غارت الشعرى وقد خفق النسر
فقلت اصطبحها او لغيري فاهدها ... فما انا بعد الشيب ويلك (٦) والخمر (٧)

(١) فارسي هو عسل التمر والدوشابي هو النبيذ المتخذ منه (٢) كذا في الاصل اعترس الحبلة بلا نقط (٣) في الاصل خميرًا (٤) في الاصل: وان نقيع التمر سكار الاسكارة صححناه على العقد (٥) في كتاب الشعر والشعراء لم تنفر وفي العقد لم تغلى (٦) في الاصل زيبك (٧) هذه الابيات في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وبعدها بيتان جاءا ايضًا في العقد وهما

تاعلمك ان الخمر في التي لم تغل بها القدور . وقال ابوزيد في الوليد بن عقبة حين عزله عثمان عن الكوفة بشهادة اهلها عليه بشرب الخمر (خفيف)

قولهم شربك الحرام وقد كا ن شراب سوى الحرام حلال

يريد انهم زعموا انك تشرب الخمر وقد كان هناك شراب حلال من النبيذ ويروى * وقد كان حلالاً سوى الحرام قالوا *

يريد كان شراب من النبيذ حلال قالوا عنه وقذفوك بشرب الخمر . ولم نحتج بابي زبيد وهو نصراني لانا رأيناه حجة في تحليل او تحريم وانما اردنا انه اعتذر له الى عثمان والى الناس بهذا القول ولم يكن ليعتذر الا بما لا ينكر الناس . قال جميل بن معمر (١) (خفيف)

فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله

اتكأنا — طعمنا . ومنه قول الله تعالى . (واعتدت لهن متكا (٢) وشربنا الحلال يعني النبيذ والقلل جمع قلة وهي جرار يكون فيها النبيذ . قال الشاعر (طويل)

وقد كان يسقى من قلال وحنتم

ولما دخل على الوليد ليقتل قال لهم : ما تنكرون مني ؟ الم افعل ؟ وجعل يعدد احسانه اليهم . قالوا : ننكر منك شرب الخمر ونكاح امهات اولاد ابيك . فقال : قد جعل الله فيما احل سعة عما تذكرون . وقال : (طويل)

دعوا لي سلمى والنبيذ وقينة وكأسا ألا حسبي بذلك مالا
خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم ثباتاً يساوي ما حييت عقالا
اذا ما صفا عيشي برملة عالج(٣) وعانقت سلمى لا اريد بدالا(٤)

انما تراه حين اعتذر فرق بين الخمر والنبيذ وقال : قد جعل الله لي فيما احل من النبيذ

اذا المرء وفى الاربعين ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي اتى وان جر ارسان الحياة له الدهر

وبعدها : وكان له (الاقيشر) جار صالح يقال له يحيى فقال له يحيى فقال : يافاسق انا اتيتك بها ؟ فقال : سبحان الله ما اكثر يحيى في الناس ! (١) هو جميل بن عبدالله بن معمر العذري احد عشاق العرب المشهور بن صاحبته بثينة عاش في ايام معاوية (٢) سورة يوسف آية ٣١ (٣) رملة عالج او رمل عالج ارض تحيط باكثر ارض العرب تصل الى الدهناء (اي ما بين اليمامة والبصره) وما يلي وادي القرى وتيماء من الحجاز (عن معجم البكري بتصرف) (٤) جاءت هذه الابيات في العقد اولها مؤخر وثانيها مقدم وبدل الثالث :

ابا الملك ارجو ان اخلد فيكم الا رب مالك قد ازيل فزالا

سمعة عن شرب الخمر وفيما احل من النساء سمعة عن نكاح الامهات . وكان ابو الهندي الشاعر مغرماً بالخمر فعاتبته ابنته على ذلك ووعظته فاعلمها انه غير صابر وانه ان تركها اعتل فقالت له : اشرب نبيذ التمر فشربه ثم عاد الى الخمر وقال : (طويل)

أأشرب تمراً ينفخ البطن منتناً واتركها صهباء طيبة النشر

وقال بعض الاشراف وكان ركبه الدين وخفت حاله (وافر)

ان بك يا جناح علي دين فعمران بن موسى يستدين
تلم بنا الخصاصة ثم تعفي على اقتارنا حسب ودين
فما يعدمك لا يعدمك منا نبيذ التمر واللحم السمين

اما تراه وصف نفسه بالحسب والدين ثم ذكر انه لا يترك اقامة اللحم ونبيذ التمر لاضيانه ولو كان نبيذ التمر حراماً ما وصف نفسه بالحسب والدين ثم قرن ذلك بشرب الخمر . واراد عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وقال يحيى بن نوفل اليماني (١) (وافر)

و يغتبقان الشراب الذي يحل به الجلد للجالد
شراب يوافق فهر اليهود ويكره للمسلم العابد

يريد انهما يغتبقان الخمر الذي يوجب شربه الحد ثم تنبه فقال يوافق فهر اليهود ويكره للمسلم العابد فهذا يدل على ان غيره لا يكره له ولا يوجب الحد . وفهر اليهود هو موضع مدارسهم الذي يجتمعون فيه ومنه حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه رأى قوماً يصلون قد سدلوا ثيابهم فقال : كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم .

وهذا ابو نواس شاهد الناس على شيء فقال . (رمل)

يا ابنة القوم اصبحينا ما الذي تنتظرينا
قد جرى في عوده الما ء فأجري الخمر فينا
انما نشرب منها فاعلمي ذاك يقينا
كل ما كان حلالا لشراب الصالحينا

قال : واما قولهم الخمر رجس فقد صدقوا في اللفظ وغلطوا في المعنى ان كان ارادوا انها نتن لان الخمر ليست منتنة ولا قذرة الا بالتحريم فانه اوجب النفور منها . قال الاخطل وذكر الخمر (بسيط)

كأنما المسك نهباً بين ارحلنا مما تضوع من ناجودها الجاري (٢)

---

(١) شاعر كان الحجاج بن يوسف يجري عليه الرزق وقد تقدمت له ابيات في هذا الكتاب (٢) في العقد

كأنما المسك رهناً بين ارحلنا وقد تضوع من ناجوده الجادي

وقال آخر : (كامل)

فتنفست في البيت اذ مزجت كتنفس الريحان في الانف

مطبوعات ومخطوطات

الدليل في موارد اعالي النيل

ألف هذا الكتاب السير وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية في مصر وعربه ابراهيم مصوّر بك رئيس الترجمة في هذه النظارة . وقد جمع فاوعى في وصف كل ماله علاقة بالنيلين الابيض والازرق من منطقة البحيرات في اواسط القارة الافريقية حتى بلاد السودان . صرف المؤلف سنين في الرحلة الى تلك البلاد ووصف احوالها الطبيعية والجيولوجية وامدته الحكومة بالنفقات الطائلة التي لا تقوى عليها الا الدول العظمى وساعده في مهمته بعض رجال الري والعلماء المختصين في هذا الفن فجاء ما كتب دليلاً على جودة البحث والاستقراء . والكتاب في ٦٣٦ صفحة كبيرة من اجود الطبع والورق وفيه ماعدا المخططات وذكر ما يمكن القيام به في المستقبل من الاعمال في سبيل زيادة الانتفاع بمياه النيل رسوم شمسية في الاماكن والجبال والجداول والانهار التي يمر بها هذا النيل وهي ٤٦ رسماً متقناً . ومن تلاه بالامعان الذي يستحقه يدرك عناية الافرنج في اتباع مصنفاتهم وصرف اقصى الهمة الى تحسينها واتقانها ويدرك مبلغ اهتمام المترجم بنقل هذا الكتاب الفني الذي يهم العربية نقل امثاله من اللغات الافرنجية .

هذا السفر المفيد شاهد عدل على اتساع صدر العربية لترجمة عامة العلوم والفنون بلغة بليغة لا تشوبها شائبة العجمة وتنطبق على الاصل المنقول عنه ولا نغالي اذا قلنا ان لغة الدليل هي من اصح الانشاء بلاغة وتحريراً فان كان ابن النيل لا يجد مندوحة من تناول هذا الكتاب ليعرف سر ماء يروبه فان ابن غير هذا الوادي يجب عليه ان يتناوله ليتخذه انموذجاً في التعريب الصحيح كما يستفيد منه الفوائد العلمية والفنية التي تكثر في كل صفحة من صفحاته . ولو نقل كل شهر الى هذا اللسان كتاب استوفى شروط التأليف على الصورة التي ذكرناها في فرع من فروع العلم التي لا عهد بها للعربية لما اتت عليها بضع سنين الا وهي تحاكي ارقى اللغات العلمية الاوربية .

ومن تصفح كتاب الدليل ممن عانى صناعة التعريب يتجلى له ما عاناه معربه في نقله

وخصوصاً بعض المصطلحات التي عمد الى بحر اللغة واغترف منه الفاظاً عربية قابل بها المفردات الافرنجية وهي تربو على مئة لفظة ومعظمها مما لم يدر على السن الكتاب والمعربين .

تاريخ الاستاذ الامام

هو اسم تاريخ فقيد الشرق الشيخ محمد عبده جمعه له مريده السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر في ثلاث مجلدات كبيرة الاوّل في سيرته وهو لا يزال تحت الطبع والثاني في منشآته وهو يحتوي على بعض رسائله ومقالاته التي نشرت في الجرائد والمجلات ولوائحه في اصلاح التربية والتعليم الديني ورسائله الى العلماء والأدباء وحكمه المنثورة وهو في ٥٦٠ صفحة من قطع الثمن وقد قدم له مؤلفه مقدمة بين فيها منزلة المرحوم المفتي من العلم والعمل ثم اخذ في نقل بعض ما خطته يراعته في خلال حياته على اختلاف اطوارها ومن تلاه يدرك قدر الفقيد العزيز . والجزء الثالث وهو في ٤٢٨ صفحة من قطع الثمن ايضاً يحتوي على تأبين الجرائد وبعض الكبراء والفضلاء ونموذج من التمازي ومراثي الشعراء وفيه شيء كثير من ذكر العواطف يدل على مكانة من وضع التاريخ له في قلوب مريديه واحبابه على اختلاف الامصار والافكار وفي هذا الجزء مثال من شعر العصر ونثره في موضوع واحد وهو الرثاء وتقييد المناقب والآثار .

وثمن الجزء الثاني خمسة عشر قرشاً صحيحاً في مصر وأجرة البريد ثلاثة قروش وفي الخارج ستة فرنكات وثمن الجزء الثالث عشرة قروش صحيحة وثلاثة اجرة البريد واربعة فرنكات في سائر الاقطار ويباعان بمكتبة المنار في شارع درب الجماميز وهما من جيد الطبع والورق . فنثني الثناء الاطيب على حسن وفاء رصيفنا جامع هذا التاريخ وعلى ما بذله من الهمة العالية في وضعه وجودة تنسيقه حتى جاء كتاب ادب وحكمة وكنا نود الاقتباس منه لنفع القراء لولا معرفتنا بانه سينتشر انتشاراً عظيماً في عامة الاقطار والامصار .

لوائح الانوار البهية

كتاب للشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي من اهل القرن الثاني عشر يتضمن شرح منظومته التي ضمنها امهات مسائل عقائد السلف وهو في مجلدين الاول في ٣٨٨ صفحة والثاني في ٤٨٨ صفحة طبعهما على نفقته طبعاً متقناً بعض الراغبين باتحاف الخلف بآثار السلف وذلك في مطبعة المنار وبملاحظة صاحبها الفاضل وقد وشحه بفهرست مرتب على الحروف يتيسر به الوقوف على محتويات الكتاب فنحث الاثريين على اقتنائه ونشكر لطابعه ومصححه عنايتهما .

مؤلفات السيد البكري

سماحة السيد محمد توفيق البكري نقيب الاشراف هو من بيت مذكور بالشرف في مصر وهو معروف باشتغاله بالعلم والادب وقد طبع في هذه الايام خمسة كتب مهمة في بابها احدها سماه صهاريج اللؤلؤ وهو سفر وقع في ٣٨٨ صفحة بقطع انثمن جيد الطبع جمع فيه كثيراً من نثره ونظمه الرائق وسلك فيه مسلكاً جديداً في الوصف جمع الى فخامة اللفظ براعة المعنى وشرحه الشيخ احمد الشنقيطي والشيخ محمد المصري شرحاً ضافياً . والثاني كتاب التعليم والارشاد جمعه بعض رجال الصوفية في عصرنا بامره وهو في ٦٦٧ صفحة وفيه ما لا يسع الصوفية جهله من المسائل . والثالث كتاب بيت السادة الوفائية تأليف سماحته واسمه يدل على مسماه ذكر فيه تراجم ما اشتهر من هذا البيت ومناقبهم . والرابع كتاب بيت الصديق تأليفه ايضاً نظم منثوره من اسفار عديدة استقصى فيه تاريخ هذا البيت الظاهر مكانه في الاسلام وهو في ٤١١ صفحة من قطع الثمن . والخامس كتاب المستقبل للاسلام وهو من قلم المؤلف ايضاً ذكر فيه ما يتعلق بهذا الشأن فنثني على همة المؤلف ونرجو ان يواصل اتحاف القراء بمثل ما اتحفهم به من هذه الآثار الرائعة .

مجموعة

هي مجموعة مشتملة على الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية وعلى كتاب الحيدة للامام عبدالعزيز الكناني وعلى عقيدة السلف لابن سهيل الصابوني وهذه الرسائل الثلاث مهمة في بابها ولا سيما رسالة الحيدة فانها صورة مناظرة جرت في حضرة امير المؤمنين المأمون في مسألة خلق القرآن بين عبدالعزيز الكناني و بشر المريسي وكان المأمون هوالحكم فابان عن فضل جم وانه كان يقصد بمسألة خلق القرآن التي شغلت بعض العلماء في آخر عهده تحقيق حقيقة علمية لا الانتصار لنفسه او لما وقع في ذهنه وهذه الرسالة اعظم مثال في الحرية العربية . طبعها الحاج مقبل الذكير وجعلها وقفاً لا يباع ولا يشرى بمعرفة فرج الله افندي زكي الكردي الكتبي المعروف في القاهرة فجاءت في ٢٩٤ صفحة جيدة الشكل

الجامعة الاسلامية واوربا

هي رسالة تأليف رفيق بك العظم صاحب كتاب اشهر مشاهير الاسلام وغيره من المصنفات الاجتماعية بحث فيها بحثاً تاريخياً في الجامعة الاسلامية وذكر فيها للمتعصبين من ساسة الاوروبيين تحاملهم على بلاد الاسلام بالبراهين التاريخية الدامغة ونصح فيها للشرقيين والغربيين نصيحة من خبر الامور الحاضرة وقاسها بالغابرة وهي ٥٨ صفحة جيدة الطبع والوضع

الانسان ابن التربية

كتاب ادبي اخلاقي انتقادي لجرجي افندي نقولا باز المعروف بمقالاته الاجتماعية والاخلاقية وفيه مباحث مفيدة مثل محاسن العصر ومساوي الحضارة وسوء التربية والوالدين والتربية البيتية والاجتماعية وغير ذلك مما ينفع ارباب البيوت ويؤثر في عقول الناشئة وهو في مئة صفحة اهداه لرصيفنا صاحب الهلال جرجي افندي زيدان وصدره برسمه وطبعته جمعية شمس البر في بيروت وخصصت ريعه لاعمالها الادبية .

عبد القادر الجيلاني

في نبذة في ترجمة هذا العالم نشرها بالعربية والانكليزية الاستاذ مرجليوث مدرس العربية في كلية اكسفورد جمعت فاوعت في هذا الباب وقد نشرت ملحقة في المجلة الآسياوية الانكليزية .

التقية في الاسلام

رسالة من قلم الاستاذ غولدسيهر مدرس العربية في كلية بودابست كتبها بالالمانية ونشرت ملحقاً للمجلة الالمانية المشرقية اهدانا اياها مؤلفها عقيب ان اطلع على مقالة التقية في الجزء الثالث من هذه السنة وسنعود الى الاقتباس منها ما لم نحصل عليه من النقول

مقالات قصر الدوبارة

كتاب في ١١٠ صفحات طبعه عبدالله افندي حسين وصالح افندي شكري حوى مقالات كتبتها جريدة المؤيد في اللورد كرومر وسياسته وخطابه الوداعي ورد المؤيد عليه وغير ذلك مما له صلة بهذا البحث وقد احسن طابعاه في نشره على هذا الشكل الجميل فان هذه المقالات من خير ما خطته يراعة كاتب سياسي في معنى الدفاع عن امته وبلاده وهو يطلب من طابعيه في دار المؤيد .

لبنان في خمس سنين

هو كتاب وقائع في ١٤٠ صفحة شرح فيه كاتبه ما حدث من الحوادث والاخبار في جبل لبنان في عهده الاخير شرحاً ضافياً يستعان به في المستقبل على وضع تاريخ مفصل لهذا الجبل فجاء ما كتبه الكاتب اشبه بالاخبار اليومية لابن بدير في القرن الثاني عشر في دمشق والجبرتي في القرن الثالث عشر في مصر هذا مع سلاسة في التعبير وتلاعب بالالفاظ والمعاني يدل على بعد غور الكاتب وحسن بيانه

اطباق الذهب

لشرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغربي الاصفهاني مائتا مقالة ومقالة في الحكم والمواعظ على طريقة السجع البديع شرحها الشيخ محمد منير المقدم في الازهر وضبطها بالشكل الكامل وطبعها طبعاً جيداً فجاءت في زهاء ١٥٠ صفحة صغيرة .

رواية الخادعين

في احدى روايات احمد مدحت افندي الكاتب التركي عربها حقي بك العظم صاحب كتابي دفاع بلفنا وحرب اليونان وهي تمثل صورة من المدنية الاسلامية في القرن الاول نشرت ملحقة لجريدة الكلمة الحرة وتباع باربعة قروش في مكتبة القاهرة

الدقائق في الحقائق

« افكاري عن النفس والروح ثم القدرة الالهية والاديان تأليف يعقوب (افندي) جبرائيل مراد » وهو في ١٢٦ صفحة جيدة الورق .

نسمات الصباح

هذه نبذة من شعر حلمي افندي مصري صدرها بنبذة بالشعر والعرب وضمنها مقاطيع وتخاميس وقصائد عرب بعضها عن الافرنسية ونظم بعضها في اغراض عصرية لطيفة فجاءت في ٦٤ صفحة صغيرة .

اكاذيب السياسة

كراسة في الرد على خطبة اللورد كرومر التي القاها في حفلة وداعه التي اقيمت بامره في دار التمثيل الكبرى بالقاهرة مساء ٤ مايو سنة ١٩٠٧ تأليف « ابنة النيل » وهي فتاة مصرية لم تصرح باسمها وعدد صفحاتها ٧٨ صفحة صغيره

سير العلم

سكة حديد جديدة

اخترع مهندس ايرلاندي اسمه لوي برنان بعد ان صرف سنين طويلة في النظر والبحث طريقة جديدة لتسيير مركبات السكك الحديدية اذا سلمت له من كل وجه فانها تقلب اصول النقل المتبعة الآن في اقطار الارض واختراعه عبارة عن تطبيق ناموس الجير وسكوب (هي آلة اخترعها فوكول سنة ١٨٥٢ ليستدل بها على دوران الارض) على مركبات السكك الحديد بل على جميع المركبات كمركبات الاتوموبيل وغيرها . فالسكة الجديدة تسيراً على خط واحد فتوفر نفقات كثيرة وليس فيها ادنى خطر وتسير بالكهربائية لا بالبخار .

التصوير بالالوان

منذ اربعين سنة اخترعت طريقة التصوير بالالوان وما برحت تتعاور بالعناية لتبلغ كمالها وقد وفق رجل فرنساوي هذه الايام اسمه لومبير فاخترع طريقة جديدة اقتصادية لرسم الالوان الطبيعية كلها على اجمل وجه يتصوره العقل .

الانتفاع بالفطر

الميكولوجيا هي فرع من فروع علم النبات خاص بمعرفة انواع الفطر . وتقسم ضروب الفطر الى نوعين وهما النوع المريء الجيد والنوع السام الضار . ولما كان الفطر يكثر في تارار من اقليم الرون في فرنسا رأت جمعية تعليم العامة ان تنشيء لها في تارار مكتباً لمعرفة الجيد من هذا النبات من رديئه وكل من جنى فطراً واتى به ذاك المكتب يفحصه له ويعطيه ورقة باسمه فكان الفطر بذلك لاهالي ذاك الاقليم الجبلي منذ ثلاث سنين اعظم مورد لم يقتاتون منه ويبيعون ما فضل منه وتساووا في معرفة جيده من رديئه الطفلة والشيخ الكبير ولم يعد احد يتسمم ببعض انواعه .

سم الغضب

ثبت للاستاذ غاتس من واشنطون ان للغضب الذي يثور في رؤوس الناس سماً كما ان للحزن سماً خاصاً به وللخوف كذلك . ذلك لان التغييرات الباطنية مهما كانت فجائية او زائلة يكون منها رد فعل على المجموع العصبي فنفس الشخص الغضبان او السوداوي يختلف بلونه عن نفس السوداوي الكئيب ولكي يثبت ذلك جعل بعضهم يتنفسون في أنبوب بُرّد بالجليد ليحل النفس المستنشق فيه فجاء منه سائل لا لون له عند ما كان المتنفس في الانبوب

سا كنًا غير مضطرب . وسائل اسفع اذا كان المستنشق غضوبًا وسائل اسرد اذا كان حزينًا وسائل وردي اذا كان وجدانه يتألم . وقال ان نفس الغضب اذا سال على الطريقة التي ابتدعها يكون فيه كمية من القوة الحيوية ومواد كيماوية اذا ابتلعها المرء تورده حتفه وان هذا السم هو اشد سم عرفه العلم حتى الآن .

كتب الارض

قدروا عدد المطبوعات الادبية في العالم بخمسين مليون مجلد . ولم يكن حتى الآن لغير خزائن الكتب العظمى قوائم مطبوعة بالكتب التي لديها فكان مما يهم المشتغلين بالامور العلمية وباعة الكتب ان ينظروا في المجلات التي تعنى بذكر الاسفار القديمة والحديثة . وقد جرت العادة في المانيا ان يرسل كل طابع الى مكتب العلوم الاجتماعية في برلين نسخة مما يطبع وان يرسل الطابعون مطبوعاتهم في انكلترا الى مكتب العلوم الطبيعية . وفي كتنا العاصمتين توضع فهارس كل سنة . وقد ارتأى احد علماء الالمان ان تضاف فهارس مكتبة الامة في باريز وهي ثالث مكتبة من مكاتب العالم بكثرة كتبها وتسقط منها المكررات وهكذا يعمل بالاحدى عشرة مكتبة من المكاتب الكبرى في العالم فيأتي من ذلك فهرس عام لجميع الاسفار في الارض .

السيارات

صنعت الولايات المتحدة سنة ١٩٠٦ — ٥٨ الف سيارة (اتوموبيل) وصنعت فرنسا ٥٥ الفاً وصنعت انكلترا ٢٧ الفاً وصنعت المانيا وايطاليا ٢٠ الفاً .

التوفير

كان فيما مضى يمدح اهل الطبقة الوسطى في فرنسا لاقتصادهم ولكن ثبت ان الالمانيين من اهل طبقتهم اكثر منهم اقتصاداً فان ما وضع في صناديق التوفير في فرنسا في سنة ١٩٠٤ قد بلغ اربعة ملايين ونصفاً من الفرنكات وسكان فرنسا ٣٩ مليوناً على حين بلغ ما وضعه الالمانيون وعددهم ٣٧ مليوناً تسعة ملايين ونصفاً وقد زاد المودع في صناديق التوفير في فرنسا من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٤ مائتي مليون اما في بروسيا فقد بلغ مليارين من الفرنكات .

غلاء الحاجيات

غلت اسعار الحاجيات في العالم المتمدن مع ان ما يستخرج سنوياً من الذهب قد بلغ ضعفي ما كان عليه منذ عشر سنين . ويؤخذ من احصاء التجارة العام ان تجارة العالم ارتفعت

من ٥٤ مليار فرنك سنة ١٨٦٧ الى ١٣٦ ملياراً سنة ١٩٠١ اي ان مجموع النقود المتعامل بها قد بلغت ثلاثة اضعاف ما كانت في ٣٤ سنة على ان محصولات العالم لم ترتق ثلاثة اضعاف ما كانت عليه ولا تنسب الزيادة لارتفاع اسعار البضائع بل لبخس اثمان الذهب لكثرة المستخرج منه .

عمال المخازن

كتب احد كبار البيوت التجارية التي تبيع بالجملة في شيكاغو نصيحة لمستخدميه وهي : لا تحتقر اصلاً زبوناً ولو كان رث الثياب . ولا تقلم اظافرك على ملاء من الناس واجعل في جيبك ابداً قلم رصاص ولا تعره لاحد ولا ترتكب غلطة واحدة سبق لك ارتكابها

طواف العالم

آخر ما اهتدى اليه البشر من السرعة في الاسفار ان يقطع المرء الارض في خمسين يوماً باتفاق ١٤٦ جنيهاً فيسير السائح من باريز الى موسكو ففلاديفوستك فكوبه فيوكوهاما فسيتيل فنيويورك فشربورغ ففرنسا

اتقاء الغش

من احسن الطرق التي سارت عليها الولايات المتحدة في اتقاء الغش في الاعلانات انه اذا نشرت جريدة اعلاناً ضاراً تنذرها دار البريد بانها تحرمها من الامتيازات التي خصتها بها اذا ظلت تنشر هذا الاعلان وترجع جميع الرسائل الواردة باسم المعلن الى من صدرت عنهم وتكتب عليها « مزوّرة » وفي المانيا وروسيا يتداخل الاطباء في الامور الضارة بالصحة التي تنشر الجرائد عنها الاعلانات

التربية في يابان

كتب احد نبلاء يابان مقالة في احدى المجلات الانكليزية ذكر فيها ماتوفر الميكادو عليه من العناية منذ خمس وعشرين سنة لانهاض الآداب في بلاده . قال انه شرع سنة ١٨٨٠ بمنع بعض الكتب المدرسية والدساتير وفي سنة ١٨٩٠ جعل بناء التعليم على أسس جديدة وامر الامبراطور ان تكون مبادي التربية مأخوذة عن تربية البيوت وعواطف المربين وعطفهم على من يربون وان يسعى كل امرئ الى توسيع مداركه العقلية بان يتأهل للدفاع عن المصلحة العامة

وصية عالم

ترك ادوارد دي هارتمان الفيلسوف العظيم كتاباً عظيماً سينشر بعده في ثماني مجلدات، وفيه خلاصة الفلسفة كلها وشرح مبادئها وقد خص كل مجلد بفرع من فروعها كعلم النفس والعلوم الطبيعية والمادية والمبادىء الاوّلية والاخلاقية وهذه هي وصيته .

معونة على العلم

كان احد محسني الفرنسيس المسيو كاهن وقف على كلية فرنسا الوفاً من الفرنكات لتصرفها كل سنة في اعانة بعض اهل العلم والادب يسيحون في الارض ليزدادوا علماً ويؤوبوا الى بلادهم لينفعوها بفضل علمهم وقد وقف الآن خمسة عشر الف فرنك تصرف لامرأتين او فتاتين كل سنة لتطوفا بها اوربا والولايات المتحدة واشترط ان تكونا معلمتين في المدارس الثانوية وان تكونا عارفتين بلغة اجنبية .

عنصر الفقراء

كان الرأي الشائع ان اولاد الفقراء اصح اجساماً من اولاد الاغنياء وان هؤلاء دون اولئك بذكاء عقولهم وصحة احلامهم ولكن العالم نيسفورو احد اساتذة كلية لوزان سويسرا بما احدثه من الفن الجديد وهو علم تعريف طبقات الفقراء قد اثبت ان اولاد الاغنياء ارقى فطرة وسحنة وعقلاً مما كانوا يوصفون به ففتح بذلك سبيلاً نافعاً في مستقبل الانسانية وكان بعمله الجديد القائم على البحث في احوال الفقراء لا البحث في الفقر اشبه بعلم البحث في الجانين لا البحث في الجنايات قال من بحث له في المجلة الافرنسية : ويعرف الاختلاف الظاهر في اشكال طبقات اهل السعة واهل الفاقة من الناس وما بينهما من الفروق التي تكاد تجعلهما امتين متباينتين مع انهما يعيشان في ارض واحدة ويتكلمان بلغة واحدة بالبحث في اشكال الطبقات النازلة وتأثيراتها الطبيعية والفسيولوجية . قال توكفيل الكاتب السياسي الفرنسوي (١٨٠٥ — ١٨٥٩) : « تتألف أمم مختلفة كثيرة من طبقات المجتمع الواحد » وقالوا ان كل امة تنقسم الى امتين وهو قول صحيح لاننا لو بحثنا في حياة الفقير وحياة الغني لرأينا ان مبدأ التناقض بينهما على اتمه بيد ان هذا الرأي يعدّ من غريب الآراء

قامات الفقراء من ارباب الاعسار اصغر من قامات الموسع عليهم من اهل اليسار . فطول بن الفقير في الرابعة عشرة من عمره متر وستة وار بعون سنتيمترًا وطول ابن الغني في مثل

هذه السن متر ونصف وطول قامات الرجال الفقراء متر وار بعة وستون سنتيمترًا في الغالب وطول الاغنياء في سنهم متر وثمانية وستون سنتيمترا ووزن جسم الموسرين من الاولاد وهم في الثالثة عشرة ٣٥ كيلو وزنة جسم ابن الفقير في مثل تلك السن ٣٣ كيلو . ومحيط رأس ابن الفقير في الحادية عشرة اصغر من محيط رأس ابن الغني فهو في الاول ٥٢٤ وفي الثاني ٥٣٣ وابن الغني وهو في سن العشرين ٥٥١٫٩ وابن الفقير ٥٤٧٫٠ وهكذا ارتفاع الجبهة وقوة الجمجمة والدماغ والجمجمة الداخلية وزاوية الوجه كلها في قياسها في الفقراء اصغر مما هي في الاغنياء وسعة الحنك في الفقراء اكثر مما هي في الاغنياء

واذا قيست قوة ابناء الفقراء بقوة ابناء الاغنياء بمقياس القوة (دينامرتر) نجد ابن الغني في السابعة يحمل عشرة كيلو على حين لا يقدر ابن الفقير ان يحمل اكثر من ثمانية . والفتاة من بنات اليسار تحمل ١٢ كيلو وهي في الثانية عشرة ومثلها من الفقيرات لا تقوى على حمل اكثر من ٧ كيلو . واولاد الاغنياء اقل صبرًا على التعب من اولاد الفقراء فقد دلت التجارب الكثيرة ان ابناء الاغنياء في الثانية عشرة من اعمارهم تنقص قوتهم من ١٩ الى ١٢ كيلو على حين ان اولاد الفقراء في مثل اعمارهم تنقص من ١٨ الى ٧ كيلو . وكذلك الصدر فانه في اولاد الموسرين اكثر سعة من ابناء المعسرين اللهم الا فيمن يعملون اعمالاً صناعية من ابناء الفقراء يكبر بها محيط صدورهم

وحركة النمو في اولاد الفقراء ابطأ مما هي في اولاد الاغنياء . وبنات الفقراء لا يبلغن الا بعد سنة او سنتين من السن التي يبلغ فيها امثالهن من بنات الاغنياء . واثبت كثير من الاطباء ان المولودين حديثًا من اولاد الفقراء اقل وزنًا من امثالهم من ابناء الاغنياء والام المستريحة تلد اولادًا اثقل وزنًا من الام المتعبة الى آخر يوم من حملها وليس لها غذاء جيد . ومن المؤثرات في صحة المولود سن الام وزمن بلوغها وتعاقب ولادتها وصحة حالتها وكل هذه الامور تؤثر في طول الطفل ووزنه .

ويخطيء من يقول ان الجمال وتناسب الاعضاء موجودان في اولاد الفقراء لان الجمال والقوة والنشاط تابعة لسعة العيش ابدًا ولا سيما لحالة الام وان وجد جمال في ابناء الفقيرات وبناتهن فانه عرض زائل يذبل لاول نضارته واقل تعب يناله . وتكثر الاسقام والموت في الفقراء اكثر من كثرتها بين الاغنياء وذلك لان الفقير عرضة للامراض اكثر بالنظر لتركيبه فلا يقوى على مقاومتها ولان معيشته شاقة . وخالف من يقول بان تشوه وجوه الفقراء وسحنتهم ناتج من تعاطيهم بعض الصنائع واثبت بان ذلك خلقي فيهم وان للفقر والانحطاط الطبيعي وما يلحق بذلك من التبدلات والاضطرابات في التغذية يدًا كبيرة

في التأثير في الطفل قبل ان يحيا . وتكلم على الاخلاق النفسية من الاحساس على اختلاف انواعه والعواطف الادبية والتأثرات والذكاء فقال انها في الفقراء اقل مما هي في الاغنياء واذ يتأخر ابن الفقير في نموه فهو لا يبلغ اشده بدون مساعدة شروط كثيرة من التعليم والمحيط المرتقي والرفاهية الطبيعية والاقتصادية وهو مما لا يحلم ان يراه من كانوا في ادنى سلم الاجتماع . ولئن نشأ من الطبقة النازلة اناس يكذبون هذه القضية كانوا من خيرة العقلاء والاذكياء ولكنهم قلائل جداً لان الاسباب الصحية والاقتصادية تؤثر في بنية الانسان وعواطفه وعقله ولا سيما في ذكائه ونبوغه وليس الذكاء والنبوغ مما يستفاد من المحيط بل هما خلقة في المرء . ومما لا ريب فيه انه كلما كثر في عنصر الانحطاط العقلي والانحطاط المعاشي لا ينشأ وسطه الا اناس ضعيفة عقولهم منحطون عن غيرهم من اهل الصنعة .

بحث الباحثون في خصائص الشعوب والاجناس والقبائل ولم يبحثوا كثيراً في خصائص الطبقات الاجتماعية في امة واحدة . وما الخصائص التي تميز طبقتين من طبقات شعب واحد غنية وفقيرة الا باكثر تباينا حتى بين اهل البلد مما هي بين امة في القاصية وامة في الدانية وثبت للباحث بالبراهين المدققة ان الاختلاف في الولادة والموت وسن الزواج والامراض وغيرها بين الباريزيين الفقراء وبين اهل طبقتهم من سكان فينا اقل مما هو بين سكان مملكتي ايطاليا ونروج مثلاً وان الاختلاف يكثر بين طبقتي الفقراء والاغنياء من اهل البلد الواحد ولا يكثر على ذلك النسبة بين شعبين متباينين بلغتيهما واصلهما بعيدين احدهما عن الآخر مئات من المراحل . والتمدن يبدو في الطبقات النازلة مهما ارتقت بلادهم كما يبدو عند الطبقات النازلة في البلاد المنحطة اي ان فقراء بلاد التمدن ينتشر فيهم الجهل ويقل النسل ويكثر الموت والجرائم كما هو الحال بين فقراء البلاد الساقطة . ولا يفوتنا النظر ان التمدن لا ينتشر في الآفاق المتنوعة من ارض واحدة على معدل واحد بل انه يستنير كل الانارة في أفق ويظلم في آخر او يكون ذا نور ضئيل ورسم محيل . ومن قوم ان الطوتمية وعبادة الظلام والحيوانات والاحجار والاشجار والمياه والنيران والظواهر الجوية والسحر وغيرها من انواع التعبد هي من خصائص الامم المتوحشة القديمة والحقيقة ان هذه العبادات لا تزال حية نامية بين الطبقات النازلة عند اكثر الامم عراقة في الحضارة على انك تجد مثل هذه العادات والاوهام والاخلاق شائعة ايضاً عند ارقى الطبقات المتحضرة لهذا العهد وذلك لان للاموات تأثيراً شديداً في نفوسنا وهي الحاكمة المتحكمة فينا ولكم يحاول التمدن منا ان ينزع عنه ما كان الفه اسلافه من العادات والعبادات ومنعو يبالغ ما ازداد لا ستحكام ذلك منه وغلبة العادة ولكن ذلك يقل في الطبقات العالية ويكثر في الطبقات النازلة

نقد المقتبس

كان معظم النقد الذي ورد على هذه المجلة في عامها الاول منصوراً على الالفاظ والوضع اما نقد هذه السنة فاكثره على المعاني والمقاصد . وقد كتب الينا احد اهل العلم في القاهرة يقول : « كنت آليت على نفسك ان لا تتعرض في المقتبس للمباحث المتعلقة بالدين او السياسة لئلا يظهر منك ما يشتم منه رائحة التعصب لملة او دولة ثم رأيتك كأنك نسيت عهدك حتى نبهك احد ادباء بغداد على ذلك . وقد رأيتك عدت الى مثل ذلك فاكبرت الامر في مثل مسألة بسيطة لا توجب شدة ولا حدة كمسألة التقية ورحت تنحي فيها على الشيعة وان كان ما اوردته منقولاً عن غيرك حتى احرجت بذلك صدورنا دع عنك صدورهم . وكذلك فعلت في مسألة السموأل فانها مسألة طفيفة فما بالك اعظمت الامر فيها ولعلك تقول ان المقصد بذلك تنقيح البحث في التاريخ وهو من مباحث العلم على ان الاعتراض جاء من غيري فنشرته . اقول نعم كان الخطب سهلاً لو لم يكن في المقالة شدة . وصاحب المجلة مسئول عما يكتب في مجلته . والمأمول ان لا تعود الى مثل ذلك او تبين عذرك المقبول في هذا الشأن والسلام عليك »

هذا ما تناولناه بيد المنة لكاتبه وكنا نود ان نكتفي بنشره ونترك الحكم فيه للقراء كما فعلنا حتى الآن في جميع ما جاءنا من هذا القبيل لولا ان كثر مثل هذا النقد علينا وجاءنا شيء من نوعه من مصر والشام والعراق فاصبح السكوت عن الاجابة ضرباً من ضروب الاهمال . وبعد فالمجلة لا تزال جارية على الخطة التي رسمتها في اول جزء صدر من التمحض للعلم المحض والانطلاق في الفكر والتجوز في الاقتباس والنشر . وما يبدر منا في بعض الموضوعات مما قد يحمله بعضهم على نزعة دينية او سياسية فانما يكون في الغالب من مؤازري المجلة الكرام او مما نقتبسه من غيرنا او يقع لنا بالعرض لا بالقصد ولا نبرىء النفس من الذهول في بعض الاحيان فالانسان محل النسيان .

ليس معنى نشرنا في السنة الماضية لمقالتين في حريق مكتبة الاسكندرية احداهما معربة عن التركية والاخرى عن الانكليزية مما يستدل منه على اننا نريد الغض من دين والرفع لآخر فالمسألة تاريخية صرفة تعاورتها الاقلام ولا تزال تتعاورها من اهل كل نحلة وجنس . وكذلك درجنا بحث « شعراء النصرانية في الجاهلية » وهو من المباحث التي لامنا بعضهم على القبول بنشرها ولو علم اللائمون بان الناقد والمنتقد عليه متحدان في النحلة والمشرب لخففوا من اللائمة . وهكذا قل في نشرنا مقالة التقية فانا لم نقصد الى الحط من فرقة معينة فيما كتبنا وعذرنا الى من تألموا مما نقلناه في التقية عند الشيعة ان ليس لدينا كتب من

كتب مختلفيهم ننقل عنه ما يتم به البحث . ولو تفضل اولئك الناقدون فوافونا بما أثر عن اهل العلم من الشيعة لكانوا احسنوا صنعاً . وقد كان وعدنا احد افاضلهم ان يوافينا بما قاله علماؤهم ثم عاد فاعتذر بان شواغل شغلته عن ذلك اهمّ من هذه المسألة .

ولا يفوتنا النظر بان تعلق العلوم بعضها ببعض يقضي علينا في الاحايين ان ندخل في مبحث اجتماعي او علمي شيئاً من مسائل الدين تتميماً للبحث كما وقع لنا في بحث التقية وما كان في وسعنا ان نصوّر للقارىء هذا الموضوع لولم نعمد الى كتب التفسير والكلام ونقتبس منها ماله اتصال بالبحث .

اما قول المنتقد المشار اليه بان صاحب المجلة مسؤول عما ينشر ولا يعذر فكلام لا يخلو على اطلاقه من نظر . ذلك لانه لا يتيسر تقييد حرية الكاتبين اذا كانوا مخلصين فيما يكتبون مالم يتجاوز قلمهم الحد في التنكيت والتبكيت فان ذلك مما يلام فيه الكاتب والناشر على اننا كثيراً ما نعدّل مثل هذه السقطات مالم نذهل او نجد الامر فيه غير جلل على اننا قد اشرنا الى العذر في مثل ذلك في نبذة نشرناها منذ شهرين تحت عنوان المترجمات وحكم المترجم فيها . فهل فيما اوردناه مقنع ؟

***

اقترحنا منذ مدة على احد اصدقائنا ان يعرب لنا عن الانكليزية شيئاً من مقالات القاضي امير علي الهندي نظراً لشهرة المؤلف في بلاد الانكليز فعرب لنا مقالة المرأة في الاسلام فنشرنا نصفها في الجزء الخامس من هذه السنة وقد وردت علينا من احد فضلاء سورية رسالة شديدة الوطأة ينتقد فيها مقال القاضي الهندي ويبني نقده على امرين احدهما ضعف الاخبار التي نقلها وانها لا تعرف في كتب الثقات من علماء الاثر والثاني تعليله بعلل لا تعقل فان كثيراً من علماء الاسلام بل وغيرهم من المحامين عنه قد اوردوا في ذلك علالاً محكمة فيها مقنع للناظر . ولما كان نشرها برمتها يوجب الدخول في تفصيل قضايا بيانها ما أنشئت له المجلة من الابحاث رأينا ان نكتفي بالاشارة الى تلك الرسالة شاكرين للمنتقد عنايته منبهين على ان المنتقد عليه حسن النية فيما كتب وكثيراً ما يكبو الجواد